

جامعة دمشق

كلية التربية

قسم أصول التربية

فلسفة جون **لوك** وأبعادها التربوية

دراسة وصفية تحليلية

أُعدّت لنيل درجة الماجستير في أصول التربية

إعداد الطالب بشار مالك سليمان

بإشراف الدكتور إبراهيم المصري

المدرس في قسم أصول التربية

العام الدراسي : 2015

Damascus University
Faculty of Education
Department of the Education foundation



The Philosophy Of John Locke And The Educational Dimintions of it
Descriptive analytical study

A thesis presented to obtain the Master Degree in Education foundation

Prepared By
Bashar Malek Solieman

Supervised By:
Dr.Ibraheem Al Masri

Professor in the Department of Foundations of Education

2015 **C-A** 1436 **H-A**

الإهداء

إلى وطني الغالي مهد الحضارة والأبجدية

سورية

إلى الأرواح الطاهرة التي ارتقت إلى سماء المجد، فعطرت الدرب بدمائها

شهداء سورية الأبرار

إلى من سهرا الليالي وقطعا المسافات

وبذلا الغالي والرخيص

لأكون إنساناً أخلاقيّاً متعلّماً ومثقفاً

وعنصراً فاعلاً في المجتمع السوري العريق

إلى والدي الحبيبين

إلى النجمين اللامعين في سماء الصدق

والمحبة ...

إلى أخوي العزيزين

هشام ومروان

إلى البشرى البيضاء

إلى أجمل زهرة في بستان المثالية والنقاء والصفاء

أختي الجميلة شكلاً ومضموناً

بشرى

إلى كل الأصدقاء الأوفياء الذين وقفوا معي لحظات الشدّة

فكانوا سنداً راسخاً وعوناً روحياً ومعنوياً

وأخص منهم بالذكر

لميس عبد الرزاق – سامر العاتكي – محمود علي

إلى كلّ من قدّم لي المساعدة صغيرة أم كبيرة، ماديّة أم معنويّة لإنجاز هذا العمل

لكم جميعاً أهدي ثمرة جهدي المتواضع

شكر وتقدير

أتقدم بفائق الشكر والاحترام والتقدير للمربي الفاضل الدكتور إبراهيم المصري لرعايته الكريمة وكل الجهود التي بذلها في سبيل تقديم هذا العمل بأفضل صورة ممكنة

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى أعضاء لجنة الحكم الكرام لتفضلّهم بقبول تحكيم هذا العمل وتقييمه مقدراً كل ما بذلوه من جهد ووقت، بهدف تلافي الثغرات والوصول به إلى الشكل الأمثل.

كما أتقدّم بجزيل الشكر والامتنان لكل الأساتذة في قسم أصول التربية وأخصّ بالذكر رئيس القسم الأستاذ الدكتور محمود علي محمد.

وكل الشكر أيضاً إلى عمادة كليّة التربية بجهازيها الإداري والتدريسي.

ولن أنسى أصدقائي ورفاقي الّذين كانوا لي عوناً لي في مسيرتي الدراسية، لهم مني كلّ المحبة والاحترام والتقدير.

الباحث

فهرس المحتويات

- **مقدمة الدراسة :**

ظهرت عبر التاريخ الكثير من المذاهب الفلسفية التي كان لكل منها أسسه الفكرية ، في كافة مباحث الفلسفة من نظرية الوجود ، إلى نظرية القيم ، إلى نظرية المعرفة ، وبما أن فلسفة التربية تستمد بشكل أساسي من فلسفة المجتمع ، فقد كان لكل من هذه المذاهب أيضا جوانب تتعلق بالتربية ولها انعكاساتها عليها ، ومن بين هذه المذاهب المذهب الواقعي الحسي، الذي ساد في بدايات عصر النهضة الأوروبية ، ويعتبر هذا المذهب من المذاهب الأساسية التي أسست لقيام الثورة على الإقطاع والظلم ، وبناء دولة القانون سواء في إنكلترا ، أو أغلب دول أوروبا .

ومن أهم فلاسفة هذا المذهب ، الفيلسوف الإنكليزي جون **لوك** ١٦٣٢-١٧٠٤ أهم مفكري عصر التنوير الإنكليزي ، وأحد أبرز الفلاسفة الذين كان لهم أثر مباشر في الثورة الفرنسية، وأثر غير مباشر في الثورة الأمريكية والفكر السياسي الأمريكي .

يعد **لوك** ممثلا أساسيا للفلسفة الواقعية الحسية الإنكليزية ، ومن أبرز أعماله المتعلقة بالتربية كان ، مقال عن العقل البشري ، وهو أول محاولة لفهم المعرفة الإنسانية وتحليلها ، ويعد من واضعي نظرية الترويض العقلي التي ترى أن العقل هو المسير الأكبر وأن حب الحقيقة هو الأسمى ، وترى بأن الهدف الأسمى من التعليم هو تحقيق النضج العقلي عند المتعلم وكمية المادة الدراسية أمر ثانوي ، كما رفض **لوك** إرجاع المعرفة إلى الفطرة وعدها مستمدة من التجربة والخبرة الحسية ، (المجيدل وآخرون ، ٢٠٠٨، ١٢٥) .

وعليه فإن هذا البحث يتيح لنا فهم المبادئ الفلسفية للمذهب الواقعي الحسي ممثلا بالفيلسوف الإنكليزي جون **لوك** ، والوقوف على أهم المبادئ التربوية في هذه الفلسفة وتأثيرها على الفكر التربوي اللاحق في الغرب عامة وعند العرب بشكل خاص .

- **عنوان الدراسة :**

فلسفة جون لوك وأبعادها التربوية. (دراسة وصفية تحليلية)

- **مشكلة الدراسة :**

يمكن تلخيص مشكلة الدراسة بالسؤالين التاليين :

ما مضمون فلسفة جون لوك ؟

ما الأبعاد التربوية لهذه الفلسفة ؟

- **أهمية الدراسة :**

تتجلى أهمية الدراسة في النقاط التالية :

- تدور هذه الدراسة حول مذهب من أهم المذاهب الفلسفية في عصر النهضة الأوروبي، وهو المذهب الواقعي الحسي ويمثله الفيلسوف الإنكليزي جون **لوك** ، لتدرس جوانب فلسفته الواقعية الحسية ومبادئها في الوجود والسياسة والأخلاق والدين .
- تحاول هذا الدراسة تشخيص الأبعاد التربوية في فلسفة **لوك** الواقعية الحسية ، وانعكاساتها على فلسفة التربية والفكر التربوي في ذلك العصر وما بعده ، من منطلق أن أفكار **لوك** أثرت بشكل كبير في الثورة المعرفية في أوروبا عامة وانكلترا بشكل خاص ، وكان لها الكثير من التطبيقات في مجال التربية سواء في أهداف التربية أو طرائقها أو مناهجها وغيرها من عناصر العملية التربوية .
- تقف هذه الدراسة على تأثير أفكار **لوك** في الفكر التربوي اللاحق في العالم عامة ، وفي الفكر التربوي العربي بشكل خاص .

- **أهداف الدراسة :**

تهدف الدراسة إلى :

- التعرف على الملامح العامة لفلسفة جون **لوك** كأحد أهم فلاسفة المذهب الواقعي الحسي في الفلسفة، وتحديد أهم الأسس التي قامت عليها هذه الفلسفة في الوجود والسياسة والأخلاق والدين .
- تحديد الأبعاد التربوية المتضمنة في هذه الفلسفة والتي ظهرت في مؤلفاته ، في المجالات التالية :
  - البعد المعرفي (نظرية المعرفة).
  - التربية الأخلاقية .

- مناهج الدراسات .
- التربية البدنية .
- التربية الترويضية .
- التربية والسياسة .
- التربية الدينية .

- **منهج الدراسة :**

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج الوصفي التحليلي ، للوقوف على أهم جوانب الفلسفة الواقعية الحسية عند الفيلسوف الانكليزي جون **لوك** ، وأهم المبادئ والأسس التي قامت عليها هذه الفلسفة.

- **أداة الدراسة :**

استخدم الباحث أسلوب **تحليل المحتوى** Content Analysis بصورته **الكيفيّة** حيث قام الباحث إلى الدراسة والتّنقيب في الوثائق الّتي أنتجها**(جون لوك)** والمؤلّفات الّتي تناولت فلسفته بالدّراسة والدراسة ، وحدّد فيها الأفكار ذات العلاقة بالفكر التّربوي.

٣-أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة :

في الجانب الفلسفي :

- **لوك** أحد فلاسفة المذهب التجريبي الواقعي حيث يرى أن العالم الفيزيقي الذي نعيش فيه يشتمل على جميع الحقائق ومصدرها وهو العالم الثابت.
- يرفض **لوك** المذهب الغريزي ويعتقد أن الحواس هي الوسيلة الوحيدة للحصول على المعارف من العالم الذي نعيش فيه.
- قيمة المعرفة تأتي من وجود مقابل لها في العالم الواقعي.
- المعرفة مقصورة على التجربة الظاهرة ويجب على الفلسفة أن تقنع بما يدرك بالملاحظة والاستقراء فحسب.

- في مجال السياسة يرفض **لوك** الحكم الوراثي والسلطة الأبوية ويعتقد أن حق الملكية يقوم على العمل، والسلطة السياسية تراض مشترك وعقد إرادي لأن أعضاء المجتمع متساوون في الحقوق والواجبات.
- في فلسفة الدين يؤكد **لوك** على مبدأ التسامح الديني بين الملل والطوائف المسيحية ويرفض أي شكل من أشكال التعصب ورفض الآخر، كما يرفض المعرفة الدينية الفطرية ويؤكد أن الإيمان يجب أن يبنى على الاقتناع الداخلي عند الفرد.
- في فلسفة الأخلاق يرفض **لوك** الأخلاق الفطرية ويرى أن عند الإنسان قدرات خاصة تجعله قادراً على اكتساب المعرفة الخلقية التي تمكنه من عيش حياة أخلاقية يحصل فيها على السعادة.

في الجانب التربوي :

- في التربية الفكرية يرفض **لوك** رفضاً نظرية الأفكار الفطرية ويعتبر أن عقل الطفل يولد وهو صفحة بيضاء تخط الطبيعة عليها ما تشاء، أما المعرفة فهي مكتسبة وأساس اكتسابها هو الخبرة الحسية ولا شيء آخر، ومصدر هذه الخبرة هو الإحساسات وأفكار الاستبطان.
- في التربية الأخلاقية يرى **لوك** أن التربية الخلقية تأتي في المرتبة الأولى قبل التربية العقلية والفكرية لذا على التربية أن تتوجه إلى تربية القيم قبل أي شيء آخر، وأساس التربية الخلقية يقوم على تربية الانفعالات النبيلة والخوف والحياء والشرف.ورفض **لوك** العقوبة الجسدية لما يترتب عليها من آثار خطيرة ومدمرة على نفس الطفل.
- في التربية البدنية يؤكد **لوك** أن العقل السليم يكون في الجسم السليم ومن هنا يجب أن تبدأ التربية البدنية منذ الطفولة.
- في مناهج الدراسات يؤكد **لوك** أن المعارف يجب أن تبنى على أساس المعرفة الحاذقة بحاجات الطفل، وإثراء الجانب التطبيقي للمعرفة المعطاة، كما أكد على أن تعلم المهن ضروري في مناهج التعليم.

- في علاقة السياسة بالتربية يؤكد **لوك** على أن الحرية في التربية يجب أن تبدأ من الطفولة المبكرة، وتتمثل الحرية في قدرة الإنسان على الاختيار الفعال في كافة جوانب الحياة.
- في التربية الدينية يرى **لوك** أنه لا توجد أفكار فطرية دينية ولا أفكار فطرية تتعلق بوجود الله تعالى، لذا فالمعرفة بالله عنده معرفة برهانية تقوم على قدرة العقل على إدراك مبدأ العلية. وكذلك يرى **لوك** أن للفرد الحرية في اختيار الكنيسة التي يقتنع بأفكارها وصحة مبادئها.

الفصل الأوّل

منهجية الدراسة

١- مقدّمة الدراسة.
٢- مشكلة الدراسة.
٣- أهمّية الدراسة.
٤- أهداف الدراسة.
٥- أسئلة الدراسة.
٦- منهج الدراسة.
٧- أداة الدراسة.
٨- حدود الدراسة.
٩- مصطلحات الدراسة.

١ – مقدمة الدراسة:

يشهد العالم منذ النصف الثاني من القرن العشرين حتى الآن ثورة علمية معرفية هائلة، رافقها تطور متسارع في العلوم والتكنولوجيا، وتراكم في المعارف بمختلف المجالات، وترافق هذا النمو مع تغير في القيم والأفكار وظهور قيم جديدة، وهذا كله انعكس بشكل مباشر على العملية التربوية بكافة عناصرها ومكوناتها.

فالتربية هي الوسيلة الأساسية لتزويد الأجيال بهذا الكم الهائل من المعارف والقيم، بغرض بناء الإنسان القادر على الارتقاء بحياته ومجتمعه، وقد كان هذا الهدف في صلب الفكر الفلسفي بمدارسه المختلفة انطلاقا من التساؤل الكبير حول الإنسان وما يجب أن يكون عليه حتى يرقى نحو الكمال، وهذا يقود نحو تساؤلات أخرى من مثل: ماذا يجب أن نعلم؟ ولماذا؟ وكيف؟ والإجابة عن هذه التساؤلات تؤثر بشكل أو بآخر على العملية التربوية، فأي نظام تربوي يستمد أسسه من الفلسفة السائدة في مجتمعه ليكون فلسفته التربوية الخاصة به، والتي تساعده في تحقيق غاياته وأهدافه.

وظهرت عبر التاريخ كثير من المذاهب الفلسفية التي كان لكل منها رؤيته الخاصة في كافة مباحث الفلسفة من نظرية الوجود، إلى نظرية القيم، إلى نظرية المعرفة. وبما أن فلسفة التربية تستمد بشكل أساسي من فلسفة المجتمع، فقد كان لكل من هذه المذاهب أيضا جوانب تتعلق بالتربية ولها انعكاساتها عليها، ومن بين هذه المذاهب المذهب الواقعي الحسي، الذي ساد في بدايات عصر النهضة الأوروبية، ويعتبر هذا المذهب من المذاهب الأساسية التي أسست لقيام الثورة على الإقطاع والظلم، وبناء دولة القانون سواء في إنكلترا، أو أغلب دول أوروبا.

ومن أهم فلاسفة هذا المذهب، الفيلسوف الإنكليزي **جون لوك** ١٦٣٢-١٧٠٤ وهو أحد أهم مفكري عصر التنوير الإنكليزي، وأحد أبرز الفلاسفة الذين كان لهم أثر مباشر في الثورة الفرنسية، وأثر غير مباشر في الثورة الأمريكية والفكر السياسي الأمريكي.

يعد **لوك** ممثلاً أساسياً للفلسفة الواقعية الحسية الإنكليزية، ومن أبرز أعماله المتعلقة بالتربية كان، مقال في الفهم الإنساني An Essay Concerning Human Understanding، وهو أول محاولة لفهم المعرفة الإنسانية وتحليلها، ويعد من واضعي نظرية الترويض العقلي التي ترى

أن العقل هو المسير الأكبر وأن حب الحقيقة هو الأسمى، وترى بأن الهدف الأسمى من التعليم هو تحقيق النضج العقلي عند المتعلم وكمية المادة الدراسية أمر ثانوي، كما رفض **لوك** إرجاع المعرفة إلى الفطرة وعدها مستمدة من التجربة والخبرة الحسية، (المجيدل وآخرون، ٢٠٠٨، ١٢٥).

وعليه فإن هذه الدراسة ستحاول توضيح أهم المبادئ الفلسفية للمذهب الواقعي الحسي ممثلا بالفيلسوف الإنكليزي جون **لوك**، والوقوف على أهم الأبعاد التربوية في هذه الفلسفة وتأثيرها على الفكر التربوي اللاحق.

٢- مشكلة الدراسة:

ظهرت الفلسفة الواقعية في عصر النهضة، وجاءت كرد فعل على الحركة الإنسانية التي ظهرت في تلك الفترة. ويعد الفيلسوف الإنكليزي **جون لوك** أحد أبرز رواد هذه الفلسفة حيث كانت فلسفته تحليلاً نقدياً للعقل البشري معتمداً فيها على احترام الحرية والقيم الإنسانية، وقد مثل **جون لوك** الاتجاه التجريبي في الفلسفة الواقعية وأسس لنظرية الترويض العقلي في التربية (جيدوري وآخرون، ٢٠٠٨،١٠٤) وبعد اطلاع الباحث على مجموعة من الدراسات المتعلقة بفلسفة التربية في كلية التربية بجامعة دمشق وعلى مقررات فلسفة التربية في كلية التربية بجامعة دمشق، لاحظ عدم إيلاء فلسفة جون لوك التربوية الاهتمام الكافي على الرغم من أن أعمال هذا الفيلسوف في المجال التربوي لا تقل عن أهمية عن أعمال غيره من فلاسفة التربية المعروفين، خاصة وأنه ألف كتابين شديدي الارتباط في التربية وهما **مقال في الفهم الإنساني An Essay Concerning Human Understanding**، **وكتاب بعض الأفكار في التربية Some Thoughts Concerning Education**. من هنا تحسس الباحث ضرورة تسليط الضوء على هذا الفيلسوف وتوضيح أهم مبادئ فلسفته وأهم الأبعاد التربوية المتضمنة فيها. ووفق ما سبق يمكن للباحث تحديد مشكلة البحث بالسؤالين التاليين:

- **ما مضمون فلسفة جون لوك؟**
- **ما الأبعاد التربوية لهذه الفلسفة؟**

٣- أهمية الدراسة:

تتجلى أهمية الدراسة في النقاط التالية:

- تتناول هذه الدراسة أحد أهم فلاسفة عصر النهضة الأوروبي وهو الفيلسوف الإنكليزي **جون لوك** حيث لاحظ الباحث ضمن حدود اطلاعه قلة الدراسات التي تناولت فلسفته التربوية بالدراسة والبحث.
- تحاول هذا الدراسة توضيح الأفكار ذات العلاقة بالتربية في فلسفة **لوك** التجريبية، وانعكاسات تلك الأفكار على فلسفة التربية والفكر التربوي في ذلك العصر وما بعده، من منطلق أن أفكار **لوك** أثرت بشكل كبير في الثورة المعرفية في أوروبا عامة وانكلترا بشكل خاص، وكان لها الكثير من التطبيقات في مجال التربية سواء في أهداف التربية أو طرائقها أو مناهجها وغيرها من عناصر العملية التربوية.
- تحاول هذه الدراسة تقديم تصور عن إمكانية الاستفادة من الجوانب الإيجابية في فلسفة **جون لوك** التربوية، وكذلك الاستفادة من تطبيقاتها في العملية التربوية بمجالاتها المختلفة.

٤– أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى:

أ- التعرف على الملامح العامة لفلسفة جون **لوك** كأحد أهم فلاسفة المذهب الواقعي الحسي في الفلسفة، وتحديد أهم الأسس التي قامت عليها هذه الفلسفة في الوجود والسياسة والأخلاق والدين.

ب–تحديد الأبعاد التربوية المتضمنة في هذه الفلسفة والتي ظهرت في مؤلفاته، في المجالات التالية:

- التربية الأخلاقية.
- مناهج الدراسات.
- التربية البدنية.
- التربية الترويضية.
- التربية والسياسة.
- التربية الدينية.

ت–تقديم مجموعة مقترحات ضمن تصور يبين إمكانية استفادة التربية العربية من فلسفة **جون لوك** التربوية.

٥- أسئلة الدراسة:

١- ما أهم الأسس والمبادئ التي قامت عليها فلسفة **لوك** التجريبية؟

٢- كيف ارتبطت فلسفة **لوك** بالفكر التربوي وتطبيقاته المختلفة؟

٣- كيف يمكن للتربية العربية أن تستفيد من المبادئ التربوية في فلسفة **جون لوك؟**

٦- منهج الدراسة:

استخدم الباحث في هذه الدراسة المنهج التحليلي، للوقوف على أهم جوانب الفلسفة الواقعية الحسية عند الفيلسوف الانكليزي جون **لوك،** وأهم المبادئ والأسس التي قامت عليها هذه الفلسفة، إضافة إلى تحليل الجوانب التربوية المتضمنة في هذه الفلسفة وانعكاساتها على الفلسفة التربوية في ذلك العصر ، وذلك من خلال الرجوع إلى النصوص والمؤلفات الخاصة بالمذهب العقلي عامة والخاصة بالفيلسوف جون **لوك** بشكل خاص، والرجوع إلى النصوص التي تناولت هذا الفكر بالدراسة والتحليل.

٧- أداة الدراسة:

استعان الباحث بأسلوب **تحليل المحتوى** Content Analysis بصورته الكيفية، فلم تلجأ الدّراسة إلى التّعبير عن المفاهيم المتضمّنة فيها بالطّريقة بأرقام محدّدة، وإنّما عمد الباحث إلى الدراسة والتّنقيب في بعض الوثائق الّتي أنتجها **جون لوك** والمؤلّفات الّتي تناولت فلسفته بالدّراسة والبحث، وحدّد فيها الأفكار والعبارات ذات العلاقة بالفكر التّربوي بهدف إبرازها، ثمّ قام بمعالجتها والتّعليق عليها وتبيين ارتباطها بالتربية، ثم توضيح إمكانيّة الاستفادة منها في التّربية العربيّة.

٨- حدود الدراسة:

تم حصر الدراسة في الحدود العلمية التالية:

أولا: الملامح العامة لفلسفة **جون لوك:**

- نظرية المعرفة عند **جون لوك.**
- النزعة التجريبية في فلسفة **جون لوك.**
- فلسفة السياسة عند **جون لوك.**

- فلسفة الدين عند **جون لوك**.
- فلسفة الأخلاق عند **جون لوك**.

ثانيا: الجوانب التربوية التي اشتملت عليها فلسفة **جون لوك**:

- التربية الأخلاقية.
- مناهج الدراسات.
- التربية البدنية.
- التربية الترويضية.
- التربية والسياسة.
- التربية الدينية.

٩-مصطلحات الدراسة:

فيما يلي عرض لأهم المصطلحات الواردة في الدراسة كما جاء تعريفها في معاجم المصطلحات الفلسفية:

١- **الفلسفة:** لفظة يونانية مركبة من الأصل فيليا، أي محبة، وصوفيا أي الحكمة، أي أنها محبة الحكمة، تستخدم كلمة الفلسفة في العصر الحديث للإشارة إلى السعي وراء المعرفة بخصوص مسائل جوهرية في حياة الإنسان ومنها الموت والحياة والواقع والمعاني الحقيقية، وتستخدم الكلمة ذاتها أيضا للإشارة إلى ما أنتجه كبار الفلاسفة من أعمال مشتركة (صليبا، ١٩٨٢، ٣٢٥).

٢- **الأبعاد التربوية:** مفهوم البعد في اللغة اتساع المدى، ورجل ذو بعد أي ذو رأي عميق وحزم، (المعجم الوسيط، ١٢٠) والبعد في اللّغة أيضاً خلاف القرب، وهو عند القدماء أقصر امتداد بين الشّيئين، أمّا المتكلّمون فقد جعلوا البعد امتداداً موهوماً مفروضاً في الجسم (صليبا،١٩٨٢،٢١٣). ويشير البعد في العلوم التطبيقية إلى العلاقة بين التي يتحدد لها مقدار ما بالنسبة إلى المقادير الأساسية وهي الطول والوزن والكتلة. والأبعاد التربوية في الفلسفة، هي المدى الواسع الذي تتحرك فيه العملية التربوية بمفاهيمها ومضامينها قياسا بالمذاهب الفلسفية قديما وحديثاً (سعيد ،٢٠٠٤،٥٢). ومن هنا **يرى الباحث** أن البعد

التّربوي في الفلسفة هو امتداد الفكر التّربوي في الفلسفة، أو الجانب التّربوي المتضمّن فيها. أما الأبعاد التربوية في الدّراسات الفلسفية المختلفة، فهي **الجوانب التي ترتبط فيها الفلسفة بالفكر التّربوي وتطبيقاته المختلفة.**

٣- **التجربة:** هي الاختبار الذي يوسع الفكر، ويغنيه، والمجرب هو الذي جربته الأمور وأحكمته.

وفي نظرية المعرفة يطلق لفظ التجربة على المعارف الصحيحة التي يكتسبها العقل بتمرين ملكاته المختلفة، لا باعتبار هذه المعارف داخلة في طبيعة العقل بل باعتبارها مستمدة من خارجه. أما في معناها الخاص فهي أن يلاحظ العالم ظواهر الطبيعة في شروط معينة يهيئها بنفسه ويتصرف فيها بإرادته (صليبا، ١٩٨٢،٢٤٣).

٤- **التجريبية:** اسم يطلق على كل المذاهب الفلسفية التي تنكر وجود أوليات عقلية متقدمة على التجربة ومتميزة عنها. والتجريبية هي الطريقة المشتملة على الملاحظة والتصنيف والفرض والتجريب والتحقيق، وتقول أيضا العلوم التجريبية أي العلوم التي تعتمد على التجريب (صليبا،١٩٨٢ ،٢٤٥).

٥- **الواقعية:** تطلق على مذهب فلسفي يقدّم الواقع على المثال، والواقعية الّتي انتشرت في القرون الوسطى، تقرّر أنّ للكليات وجودا مستقلّا عن الأشياء الّتي تمثلها وهي بهذا المعنى مقابلة للاسمية والتصوريّة ولكن من وجهتي نظر مختلفتين. وهي مذهب يقول إن الوجود مستقل عن معرفتنا الفعلية به لأن الوجود غير الإدراك (لالاند، ٢٠٠١، ٢١٤).

The Summary

Across history , a lot of philosophic schools appeared ,each one has its mental rules; In all philosophic search from the existence theory ,values theory and knowledge theory. Since the education philosophy is taken mainly from community philosophy , each school has its sides related to education and its reflection on it .Among them is the actual sensory school ,which prevail in European rise era, and it's considered one of the schools that paved the way to rise the revolution against the feudalism and injustice and to build a low country in England or most of European countries .

One of the most important schools' philosophers is the English philosopher John Lock (1704-1632).He is one the most important intellectuals of enlightenment era, also one of the famous philosophers that has a direct effect on the French revolution and indirect affection on American uprising as well as American political thought .

Lock considered as the main representative for actual sensory English philosophy. Its most famous works related to education was an essay about the human mind and it was one of the first attempt to comprehend the human knowledge and its analysis . He is also considered as the maker of mind training says that the mind is the greatest guide and love of truth is the superior .So it believes that the topmost target of teaching is to achieve mental maturity in the learner ,however , the quantity of the subject is secondary matter. In addition to that, he refused returning knowledge to nature ,but he thought it derived from the experiment and sensory experience.

Consequently , this research allows us to understand the philosophic principles of the actual sensory school represented by English philosophic, John Lock. As well as to stop at the most important principles of education and its impact on the coming education thought generally in the west and specially in Arabs .

Title of the research work is:

The Philosophy Of John Locke And The Educational Dimintions of it

“Descriptive analytical study”

The Problem of the Study:

Problem of the study Summarized in the following two questions:

- what the content of the philosophy of john locke?
- what are the educational dimentions of this philosophy ?

The importance of study:

the importance of this research starts from the following points:

- This study is about " the realism doctrine" that is one of the most important philosophical doctrines in the European Renaissance, it is represented by the English philosopher John Locke

- It studied philosophy sensory aspects of realism and principles in existence, politics, morality and religion

- This study attempts to diagnose the educational dimensions in the philosophy of Locke sensual realism, and its impact on the educational philosophy of education and thought in that era and beyond, from the premise that the ideas of Locke significantly influenced In cognitive revolution in Europe in general and England in particular, and have had a lot of applications in the field of education, both in education goals or methods or curricula and other elements of the educational process.

- this study explains the influence of the of Locke ideas in subsequent educational thought in the world in general, and in the Arab educational thought in particular

4. The objectives of the study:

The study aims to:

- To identify the general features of the Philosophy of John Locke as one of the most important philosophers of the real sensory doctrine in philosophy, and to identify the most important bases of the presence in this philosophy, politics morality and religion

- determine the educational dimensions contained in this philosophy that appeared in his writings, in the following areas:
  - dimension of knowledge (epistemology).
  - moral education.
  - Studies curriculum.
  - Physical Education.
  - Altrobih education.
  - Education and politics.
  - religious education.

The method of the Study:

Researcher used the Descriptive analytical method to Clarify the most important Aspects in the Realism Philosophy of John Locke and the most important principles upon.

Tool:

Researcher the method of content analysis in its Qualitative Where the researcher explored in the writings of John Locke and the writings that explored in his philosophy and defined the thoughts related to the educational thought.

The results came as following:

in the philosophical side :

- Locke is one of realist school philosophers who argues that the physical world in which we live includes all the facts and their source are the constant world.
- Locke rejects instinctive school and believes that the senses are the only means to get the world knowledge which we live in.
- Value of knowledge comes from the presence of her in exchange for the real world.
- Knowledge based on experience and philosophy must believe what is Must believe in what is known only by noteworthy and induction.

- In Policy Locke refuses hereditary rule and parental authority and believes that ownership is based on the work, and political power is a compromise because all the society members are equal in rights and duties.
- In religion Locke emphasizes the principle of religious tolerance between Christian denominations and rejects intolerance and rejection of the others, also rejects the innate religious knowledge and confirms that faith must be built on the conviction.

- In the philosophy of ethics Locke refuses innate morality believes because everyone have special abilities that makes him able to acquire moral knowledge that enables him to Live a moral life and get happiness.

in the Educational side :

- In intellectual education Locke rejects the theory of innate ideas considered in the child's mind generates a blank page, and the knowledge they acquired and the basis of sensory experience is gained and nothing else. The source of this is the sensorial experience and introspection ideas.
- In moral education Locke believes that moral education comes in first place before the mental and intellectual education ,So the Education heading to breeding values before anything else,The foundations of moral education based on breeding noble emotions, fear and shame, honor and refused Locke corporal punishment because of their serious and devastating effects on the Child psychology.

- In physical education Locke confirms that a healthy mind in a healthy body so that physical education should start from childhood.
- In curriculum studies Locke confirms that knowledge must be based on knowledge of the needs of the child, and enrich the practical side of knowledge given, also he stressed that learning is essential in professions education curricula.
- in relation to education policy Locke emphasizes that freedom must start from early childhood, and it is the human capacity for effective choice in all aspects of life.
- In religious education Locke believes that there are no innate ideas and innate religious ideas that relate to the existence of God, so God knowledge is demonstrative knowledge that is based on the brain's ability to recognize the principle of the attic. As well as Locke believes that the individual freedom to choose the Church that he believes in its principles.

الفصل الثّاني

الدّراسات السّابقة

١- الدّراسات العربيّة.

٢- الدّراسات الأجنبيّة.

٣- التّعقيب على الدّراسات السّابقة.

١- الدراسات العربية:

١- دراسة إسلام (١٩٦٢) مصر بعنوان: نظرية المعرفة عند جون **لوك**.

- **هدفت الدراسة إلى:**

التعريف بالفلسفة الواقعية الإنكليزية وتوضيح الأسس العامة لفلسفة **لوك** وكذلك دراسة نظرية المعرفة كمبحث من مباحث الفلسفة الأساسية، في فلسفة **لوك**.

- **منهج الدراسة:**

منهج التحليل الفلسفي حيث قام الباحث بتحليل كتاب مقال في الفهم الإنساني، ليحدد من خلاله الملامح العامة لنظرية المعرفة في فكر جون **لوك**، وعلاقتها بالتجربة.

- **أهم نتائج الدراسة:**

آمن **لوك** بأن جميع أفكار الإنسان ومعارفه مكتسبة عن طريق التجربة والخبرة، والإنسان يولد وعقله صفحة بيضاء، خالية من الأفكار الفطرية والمعاني الأولية.
وظيفة العقل بالنسبة إلى **لوك** ليست مجرد تلقي الانطباعات الحسية بل له وظيفة إيجابية أخرى وهي ربط هذه الانطباعات، وتكوين صورة ذهنية عنها، وقد آمن أن المعرفة هي نتيجة الإحساس والتفكير معاً.

٢- دراسة عبد الرحمن (١٩٨٣-١٩٨٤) سورية، رسالة ماجستير بعنوان: نظرية الأفكار الفطرية في المذهب العقلي والنقد التجريبي لها عند جون لوك:

- **هدفت الدراسة إلى:**

فتح نافذة جديدة على الفكر الفلسفي الغربي لما له من فائدة في خدمة القضايا العربية، وتسليط الضوء على مشكلة المعرفة الإنسانية من منطلق أن **جون لوك** هو أول من وضع مشكلة المعرفة الإنسانية موضوع بحث منظم.

- **منهج الدراسة:**

اتبع الباحث في هذه الدراسة منهج التحليل الفلسفي مقسماً رسالته إلى أربعة أبواب حيث ناقش في الباب الأول منها أهمية فكر **لوك** في التاريخ الإنساني ثم تحليل الفكر عنده في الباب الثاني بينما خصص الباب الثالث للمعرفة الإنسانية، وختم رسالته في الباب الرابع بتبين أثر فلسفة **جون لوك** في الفلسفة المعاصرة.

- **أهم نتائج الدراسة:**

يحاول لوك بناء نظرية مادية متكاملة في المعرفة، ويعتبر مؤسساً للتجريبية القائلة بأن معرفتنا مستمدة من التجربة. ويرى أنه لا وجود لأفكار فطرية، ولا لمبادئ موروثة فالناس يستطيعون اكتساب المعرفة باستخدام قدراتهم الطبيعية دون الاعتماد على ما يسمى بالأفكار الفطرية. ويعالج **لوك** مشكلة المعرفة انطلاقاً من موقع مادي، حيث يبدأ بطرح الحج والبراهين التي يذكرها دعاة نظرية الأفكار الفطرية ثم يدحض الحجة التي لا تستند إلى أي أساس سوى الإجماع الكلي على وجود هذه الأفكار حيث أن إجماع الناس على قضية ما ليس دليلاً على صحتها. ويرفض **لوك** إعطاء العقل مهمة كشف الحقائق، كما يرفض أن تكون المبادئ العملية سابقة على التجربة.

٣-دراسة حسين (٢٠٠٩) العراق رسالة ماجستير بعنوان: فلسفة التربية عند جون لوك

- **هدفت الدراسة إلى:**

إبراز أهمية فلسفة التربية لدى الفيلسوف التجريبي جون **لوك**، تحديد أثره في الفكر التربوي الأوروبي وكذلك دوره في وضع أسس فلسفة التربية الإنكليزية وكذلك توضيح دوره في تأسيس فلسفة التربية.

- **منهج الدراسة:**

استخدمت الباحثة المنهج التحليلي في دراسة كتاب لوك "بعض الأفكار في التربية، وخصصت الفصول الأولى من الدراسة لتعريف الفلسفة وعلاقتها بالتربية وكذلك عرض أهم أفكار فلاسفة التربية اليونانيين القدماء ومن تلاهم حتى عصر جون لوك، وأولت الباحثة اهتماماً بعلاقة التربية بالتسامح الديني عند جون لوك وأثر التربية في بناء مجتمع فاضل.

- **أهم نتائج الدراسة:**

- فلسفة **لوك** الواقعية تخلو من التعقيد، أكد فيها على أهمية التربية في بناء إنسان فاضل حر يساهم بشكل فعال في بناء مجتمعه.
- أكد **لوك** على دور التجربة في المعرفة الحقيقية دون وجود أفكار فطرية سابقة للتجربة.

- اعتبر **لوك** أن التربية الأخلاقية تتقدم على التربية الفكرية من حيث الأهمية ورفض العقاب الجسدي للأطفال كما أكد على ضرورة التعلم من خلال التجربة.
- أثر **لوك** بشكل كبير في فكر فلاسفة التربية الأمريكان وظهرت بصمته واضحة في أعمالهم الفلسفية والتربوية.

٤- دراسة داود (٢٠١٠) العراق بعنوان: نظرية المعرفة عند جون لوك:

- **هدفت الدراسة إلى:**

شرح نظرية المعرفة عند **جون لوك** وتبيين كيفية تطبيق الفلسفة التجريبية على هذه النظرية في كتابه **محاولة في الفهم البشري**، وكذلك تطبيق المنهج الاستقرائي في البحث عن أصل المعرفة البشرية ونقض المنهج القياسي المستخدم من قبل الفلاسفة المدرسيين.

- **منهج الدراسة:**

استخدم الباحث المنهج التحليلي وذلك من خلال شرح محاور نظرية المعرفة عند **لوك** انطلاقاً من رفض الأفكار الفطرية، وأهمية التجربة، وتكوين الأفكار وأنواعها ثم توضيح أهمية الصفات الأولية والصفات الثانوية في المعرفة وأخيراً أنواع المعرفة وحدودها.

- **أهم نتائج الدراسة:**

رأى الباحث في نتيجة بحثه أن **لوك** أول فيلسوف يطبق المنهج التجريبي في الفلسفة خاصة في مجال نظرية المعرفة، ورفض نظرية الأفكار الفطرية التي كانت سائدة في عهده، كما أكد أن التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة وأن العقل لحظة ولادته صفحة بيضاء لا تحوي أية معلومات.

كما اعتبر الباحث أن **لوك** من الفلاسفة الذين تأثروا بالمنهج العلمي السائد في عصره وحاول تطبيق المنهج الاستقرائي في الفلسفة.

٥- دراسة عبد الحفيظ (٢٠١٠) الجزائر رسالة ماجستير بعنوان: فلسفة التربية عند جون ديوي

- **هدفت الدراسة إلى:**

الوصول إلى بلورة نظرة متكاملة حول طبيعة فلسفة التربية عند جون ديوي من خلال الربط بين ميدانين مهمين في حياته وهما الفلسفة والتربية، وكذلك جمع أفكار ديوي المتعلقة بالتربية والبحث فيها علمياً من خلال مؤلفاته والوقوف على العلاقة بين رؤاه الفلسفية وإنتاجه التربوي الضخم.

- **منهج الدراسة:**

استخدم الباحث منهجاً تحليلياً لإبراز حقيقة فلسفة التربية عند جون ديوي حيث توجه إلى نصوصه بالقراءة والعليق وتحليل أفكارها والربط فيما بينها بغية استخلاص نظرته الفلسفية في التربية والوقوف على جوهر فلسفة التربية عنده، كما استخدم المنهج المقارن حينما كان مجال المقارنة متاحاً فين أفكار ديوي التي قدمها مع غيره من الأفكار لإبراز مدى تأثره وتأثيره في غيره من الفلاسفة.

- **أهم نتائج الدراسة:**

خلص الباحث إلى أن رغبة ديوي الملحة في صناعة المجتمع المعاصر، الذي يواكب التطورات التي أحدثتها الثورة الصناعية والكشوفات الجديدة جعلته يتجه إلى التربية لإعادة بنائها وفق أسس فلسفية برغماتية. كما أن النمط التربوي الجديد الّذي قدمه ديوي والذي يعتبر ثورة على النمط التقليدي أصبح يقوم على جعل المتعلم أساس العملية التعليمية والتركيز على قدراته وميوله وممارسة حريته في سبيل تعزيز الذكاء ومجابهة الحياة المتغيرة. وبالنسبة للمنهج التربوي فإنه بحسب ديوي يجسد المنهج المنطقي من خلال أسلوب حل المشكلات الذي يقوم على إيجاد مواقف إشكالية يعمل الطفل على إيجاد حلول لها. وأخيراً خلص الباحث إلى أن فلسفة ديوي التربوية على الرغم من كل الانتقادات التي وجهت لها هي حركة تقدمية لازال أثرها قائماً في مشارق الأرض ومغاربها.

٦-**دراسة الصعدي (٢٠١١) اليمن بعنوان: ضرورة وحدود التسامح في (محاولة في التسامح الديني) لجون لوك**

- **هدفت الدراسة إلى:**

توضيح المنطلقات والأفكار الأساسية لنظرية التسامح عند **جون لوك**، وتوضيح ارتباط فكرة التسامح بفلسفته السياسية حيث ارتكزت هذه الفلسفة على أساس معرفي اجتماعي تاريخي.

- **منهج الدراسة:**

استخدم الباحث المنهج التحليلي في تناول كتاب **لوك** في التسامح الديني حيث تناول مسألة حرية الضمير عند **لوك** والأفعال التي يقوم بها الإنسان ولا تمس المجتمع، كما تناول طبيعة الفضائل والرذائل الأخلاقية وتحديد مجالات التسامح وفق معيار واحد ومحدد هو ضمان السلام الاجتماعي وحماية الملكية الخاصة للمواطنين.

- **أهم نتائج الدراسة:**

خلص الباحث إلى أن دعوى التسامح عند **لوك** تقوم على التمييز في الإنسان بين كونه عضواً في مجمع وجسداً فانياً وبين كونه يحوز جوهراً روحياً خالداً. لهذا لا يمكن أن يطلب التسامح في كل ما يهدد أمن وسلامة المجتمع أو يلحق ضرراً بمصالح الآخرين، أما من حيث هو كائن روحي أو نفس خالدة فإن صلته بربه هي صلة مباشرة، ولا ترتبط بالآخرين من أعضاء المجتمع. وقد ميز **لوك** بين الحياة الدنيا والحياة الآخرة فوجد أن شأن الحاكم هو الحياة الدنيا لا عالم الآخرة وأخيراً فإن المصالح الوطنية العامة تدعو جميعها بإلحاح إلى التسامح.

٢-الدراسات الأجنبية:

٧-دراسة "Vaughn" (١٩٧٨) انكلترا بعنوان John Locke and the labor theory of valueجون لوك والنظرية العملية للقيمة.

- **هدفت الدراسة إلى:**

دراسة نظرية القيم في فكر جون **لوك** من الناحية الاقتصادية، وتوضيح تأثير **لوك** في النظرية الماركسية في الاقتصاد.

- **منهج الدراسة:**

منهج التحليل الكيفي لأفكار **لوك** حول القيمة وعلاقتها بالاقتصاد.

- **أهم نتائج الدراسة:**

ينبغي أن يتلقى العامل جزءا من نتاج عمله كمكافأة له وهذا يرتبط بالقيم الأخلاقية للعمل.

مفهوم الملكية هو حجر الأساس في الحرية الشخصية، وجزء مهم من الحراك الاجتماعي والاقتصادي.

لقد كان فكر **لوك** في القيم الاقتصادية للعمل عاملا مؤثرا في فكر كارل ماركس ونظريته الاقتصادية.

يمكن للأفراد الاعتماد على الفكر لإيقاظ التوجهات الحياتية بعد التخلص من الجمود والخرافة والأفكار الساذجة.

٨- دراسة "Root" (٢٠٠٥) أمريكا رسالة ماجستير بعنوان: Locke's Educational Theories As Modified By Defo,Johnson,And Rousseau نظريات لوك كما تم تعديلها من قبل ديفو وجونسون وروسو

- **هدفت الدراسة إلى:**

بيان مدى تأثير فلسفة **جون لوك** على ثلاثة من أهم فلاسفة القرن الثامن عشر وهم دانييل ديفو وساموبل جونسون وجان جاك روسو. وتأكيد وجود الجانب الأيديولوجي لفلسفة **لوك** في الأعمال الأساسية لهؤلاء الفلاسفة.

- **منهج الدراسة:**

استخدم الباحث المنهج التحليلي في تناول كتاب "بعض الأفكار في التربية" **لجون لوك** في الفصل الأول من دراسته ثم إظهار تأثر ديفو وجونسون وروسو بالنظرية التربوية المتضمنة في هذا الكتاب.

- **أهم نتائج الدراسة:**

الدراسة سلطت الضوء على الحقيقة القائلة بأن دانييل ديفو وساموبل جونسون وجان جاك روسو مع غيرهم من فلاسفة تلك المرحلة يعتبروا في المقام الأول من حيث أدبهم المتميز والمتفرد في ذلك العصر، ويتابع الباحث بأن كل من الفلاسفة الثلاثة كان متأثراً بشكل كبير بفلسفة **جون لوك** حيث ظهرت أفكاره واضحة في أعمالهم الأدبية

٩-دراسة "Gianoutsos" (٢٠١٠) انكلترا بعنوان: Early ،Locke Rousseau Childhood Education لوك وروسو والتربية في الطفولة المبكرة.

- **هدفت الدراسة إلى:**

دراسة الفكر التربوي عند كل من روسو و**لوك** مع التركيز على التربية في مرحلة الطفولة المبكرة وتحديد الفروق بين كل من الفيلسوفين في نظرته للتربية في هذه المرحلة كون روسو من أعلام الفلسفة الطبيعية و**لوك** من ممثلي الفلسفة التجريبية.

- **منهج الدراسة:**

منهج التحليل الكيفي والمنهج المقارن حيث حلل الباحث آراء كل من الفيلسوفين ثم أجرى مقارنة بين آراء كل منهما حول التربية في الطفولة المبكرة.

- **أهم ما خلصت له الدراسة:**

يتفق كل من روسو و**لوك** على أهمية الحرية في التربية كأساس لبناء مجتمع مثالي مدني متطور وأن الهدف الأسمى من التعليم هو تحقيق النضج العقلي للمتعلم، ويختلفان في أن روسو يرى أن تربية الطفل في المراحل المبكرة من الطفولة يجب أن تكون سلبية، لكي يحمي الطفل من المفاسد التي قد تأتيه من المجتمع فيما يرى **لوك** أنه لابد من إعداد الطفل لمواجهة الحياة والتركيز على هذا الأمر من الطفولة.

١٠-دراسة "Liederbach" _(٢٠١١) أمريكا بعنوان: Lockian Moral philosophy فلسفة جون لوك الأخلاقية.

- **هدفت الدراسة إلى:**

تحديد البيئة الفكرية للفيلسوف جون **لوك** ودراسة نظرة **لوك** إلى المشكلات العالمية في عصر النهضة وحلولها وكذلك دراسة النقض الذي قام به **لوك** للمبادئ الأخلاقية الفطرية، كما هدفت إلى تحديد العلاقة بين الرغبة والواجب في الفلسفة الأخلاقية **لجون لوك وتحديد** مواطن الضعف في فلسفته الأخلاقية.

- **منهج الدراسة:**

الدراسة وصفية تحليلية قام بالباحث من خلالها بدراسة فكر **لوك** الفلسفة، مع التركيز على كتابه رسالة في التسامح، حيث حدد من خلاله النقاط الأساسية في فلسفة **لوك** الأخلاقية كما ظهرت، إضافة إلى علاقة الأخلاق بالدين.

- **أهم نتائج الدراسة:**

ركز **لوك** على أهمية علم النفس الأخلاقي ودور القانون في تطور المجتمعات وتجاوز المشكلات التي تعيق تطورها ورفض **لوك** وجود مبادئ أخلاقية فطرية، مؤكداً أن الأخلاق تأتي عن طريق تعريض الطفل لمواقف حياتية يتعلم من خلالها السلوك الأخلاقي المناسب. ورأى الباحث أن أهم نقاط الضعف في فلسفة **لوك** الأخلاقية هي افتراضه أنه يمكن للإنسان من خلال العقل أن يكتشف مبادئ تظهر ما يلزم من قوانين الطبيعة لتوجيه السلوك الأخلاقي لكنه لم يستطع إثبات هذه المبادئ.

١١-دراسة "Heim" (٢٠١١) أمريكا بعنوان:Morality ، Law and State. Religion،Locke لوك في الدين و الأخلاق و القانون والدولة.

- **هدفت الدراسة إلى:**

دراسة الأبعاد التاريخية والشخصية لفكر جون لوك، ونقده للأفكار الدينية الفطرية، وكذلك دراسة الفكر الأخلاقي والسياسي عند **لوك**.

- **منهج الدراسة:**

الدراسة فلسفية استخدمت منهج تحليل المحتوى الكيفي، لتحديد المبادئ المتعلقة بالدين والأخلاق والقانون والدولة في فكر **لوك** عامة والسياسي بشكل خاص.

- **أهم ما توصلت له الدراسة:**

يعد **لوك** من أعلام المدرسة الواقعية في أوروبا، ومن الفلاسفة المؤسسين لعصر التنوير الأوروبي. وقد رفض **لوك** الفكر الديني والخضوع التام لسلطة الكنيسة ورجال الدين، ورفض رفضا قاطعا ربط الأخلاق باللاهوت كما أكد **لوك** على أن الأخلاق ليست فطرية بل تعتمد في الأساس على التفاعل بين الفرد والمجتمع الذي يعيش فيه.

٣-التعقيب على الدراسات السابقة:

تناولت معظم الدراسات السابقة فلسفة **جون لوك** من وبعد أن اطلعت على هذه الدراسات حددت أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين دراستي الحالية وكذلك حددت المواطن التي يمكن لي الاستفادة منها في هذه الدراسات.

ففي دراسة كل من إسلام (١٩٦٢) وداود (٢٠١٠) تجلى التشابه في تناول نظرية المعرفة وتحديد أهم أسس هذه النظرية التي وضعها لوك في كتابه مقال في الفهم الإنساني مع ملاحظة أن إسلام تناول النظرية بكثير من التفصيل والشرح مقارنة بداود الذي عرضها بشكل مختصر، وقد استفدت من هاتين الدراستين بشكل أساس في تحديد الأسس التي استندت إليها في عرض نظرية المعرفة عند **لوك** واستخلاص أهم الأفكار المتضمنة فيها ومناقشتها بطريقة واضحة. وفي دراسة عبد الرحمن (١٩٨٤) فقد ركز الباحث على النقد التجريبي لنظرية الأفكار الفطرية التي ظهرت في المذهب العقلي والحجج التي استند إليها **لوك** في نقض هذه النظرية، وقد استفدت من هذه الدراسة في الجزء الخاص بموقف **لوك** من نظرية الأفكار الفطرية وإظهار الحجج التي قدمها لنقض هذه النظرية.

أما في دراسة الصعدي (٢٠١١) فقد اختلفت هذه الدراسة عن الدراسات السابقة في أنها ركزت على مفهوم التسامح دون غيره من الأعمال التي قدمها **لوك** في المجال الفلسفي وقد استعان الباحث بهذه الدراسة في تحديد علاقة التسامح الديني بالحياة الاجتماعية والسياسية وكذلك الفصل بين علاقة الفرد بالمجتمع وعلاقته بالخالق. أما دراسة حسين (٢٠٠٩) والتي تناولت فلسفة **لوك** التربوية فقد ركزت هذه الدراسة في جزء كبير منها على مفهوم الفلسفة ومفهوم التربية وعلاقة كل منهما بالآخر وقد أسهبت الباحثة في الحديث عن فلاسفة التربية اليونان ومن تلاهم قبل **لوك** وكان هذا الإسهاب على حساب فلسفة التربية عند **لوك** وهو عنوان بحثها الأساس، وهنا كان الاختلاف الجوهري بين دراستي الحالية ودراسة الباحثة حسين حيث ركزت في دراستي هذه انطلاقاً من العنوان على عرض أهم الأفكار الفلسفية **لجون لوك** ثم توضيح الجوانب التربوية المتضمنة في فلسفته دون الخروج عن العنوان، ومع ذلك فقد استفدت من هذه الدراسة في عدة أمور منها: توضيح علاقة التربية بالتسامح الديني ودور التربية في بناء المجتمع الفاضل وكذلك فيما يخص التربية الأخلاقية. وبالنسبة لدراسة عبد الحفيظ (٢٠١٠) فهي تختلف عن دراستي في أنها تتناول فلسفة جون ديوي التربوية

وهو أحد أهم فلاسفة البرغماتية لكني استعنت بهذه الدراسة في المنهج الذي استخدمه الباحث لعرض أفكار ديوي وشرح فلسفته التربوية كما استفدت منها في بعض الأجزاء التي قارن فيها عبد الحفيظ بين جون ديوي وجون **لوك**.

هذا كان بالنسبة للدراسات العربية أما الدراسات الأجنبية فقد استفدت بشكل كبير من دراسة Root (٢٠٠٥) في الفصل المخصص لشرح نظرية **لوك** التربوية المتضمنة في كتاب بعض الأفكار في التربية، لكن الاختلاف تجلى في أن Root ركز في دراسته على بيان أثر **لوك** في عدد من فلاسفة القرن السابع عشر مستخدماً المنهج المقارن إلى جانب المنهج التحليلي.

أما دراسة Liederbach (٢٠١١) والتي تناولت فلسفة لوك الأخلاقية فقد استفدت منها في القسم الفلسفي فقط حيث أنها لم تعرض أي جوانب تربوية في الفلسفة الأخلاقية **لجون لوك**.

ومن بين الدراسات التي كانت ذات فائدة كبيرة كانت دراسة Gianoutsos (٢٠١٠) والتي قارنت بين **لوك** وروسو في تربية الطفل المبكرة حيث تناولت هذا الأمر في الجانب التربوي من الدراسة.

وعموماً فإن هذه الدراسة تختلف عن الدراسات السابقة في أنها حاولت توضيح المبادئ العامة التي قامت عليها فلسفة جون لوك التجريبية وبحثت عن الجوانب التربوية المتضمنة في هذه الفلسفة سواء ما يتعلق منها بالعملية التدريسية أو ما يتعلق بالتربية العامة في الطفولة مروراً بالتربية الأخلاقية والتربية الدينية.

الفصل الثّالث

مضمون فلسفة جون لوك

١- من هو جون لوك.

٢- نظرية المعرفة في فلسفة جون لوك.

٣- النزعة التجريبية في فلسفة جون لوك.

٤- فلسفة السياسة عند جون لوك.

٥- فلسفة الدين عند جون لوك.

٦- فلسفة الأخلاق عند جون لوك.

٧- أهم الانتقادات التي وجهت لفلسفة جون لوك.

ما زال عصر التّنوير الأوروبّي بفلاسفته وعلمائه ومفكّريه محطّ اهتمامٍ بالغ، والشّغل الشّاغل لدى الكثير من الباحثين والمفكّرين المحدثين بشكل عام وفي العالم العربي بشكلٍ خاص. وذلك برأي الباجث لسببين شديدي الارتباط ببعضهما ،**الأوّل** كون عصر التّنوير الأوروبّي – والّذي أسّس دعائمه بصورة واضحة على أفكار فلاسفة ومفكّري العرب مثل ابن خلدون وابن رشد وابن سينا وغيرهم – كان نقطة التّحول المفصليّة من العصور الوسطى بسوداويّتها وصراعاتها وتدهور القيم الإنسانيّة فيها، إلى العصور الحديثة بحضارتها وتطوّرها الهائل سواءً على الصّعيد العلمي أو على الصّعيد الإنساني، **والثّاني** هو سعينا الدّائم – كبلدان نامية – للاستفادة من هذه التّجربة بهدف الخروج من حالة التّخلف الّتي تسيطر على مجالات حياتنا كافّةً، والولوج في طور الحداثة والتّقدم والحريّة والإبداع بما يتناسب مع خصائصنا الّتي نتفرّد بها وتميّزنا عن غيرنا من الشّعوب في هذا العالم الّذي تحوّل لقريةٍ صغيرة في عصر تكنولوجيا الاتّصالات . فما هو التّنوير؟

يقول كانط: "التّنوير هو خروج الإنسان من حالة قصوره الّتي يتسبّب فيها بنفسه، والقصور هو عجزه عن أن يكوّن لنفسه عقلاً دون مساعدةٍ من سواه"(كونزمان وآخرون، ١٩٩١، ١٠٣)

وقد أطلق هذا الاسم على المرحلة الّتي تلت ما كان يسمّى بـ "العصور الوسطى" حيث كانت عقائد الدّين موضوع تسليم يقيني عند المفكّر المسيحي لهذا انحصر دور الفلاسفة في الغالب في شرح مضامين هذه العقائد وإقامة الحجج والبراهين على صحّتها، في نطاق قدرة العقل الإنساني الّذي يعجز – في نظر المسيحيّة – عن تفسير حقيقة "الأسرار المقدّسة" وعلى هذا فقد كانت الفلسفة خادمة للدّين ومجرّد أسلوب للإقناع العقلي بما سبق أن قبلناه بسلطة الإيمان، أما الفلسفة ما بعد التّنوير فقد غلب عليها الطّابع العلمي ، ولم يعد الدّين يتدخّل في فكر الفيلسوف ليحدّ من حريّته ، أو ليملي عليه حقائق الوحي المنزّل ، وبذلك تكون الفلسفة تحرّرت من سلطة الكنيسة ولم تعد خادمةً للدّين بل أصبحت خير معبّر عن التقدّم العلمي وحافزاً على الانطلاق الخلّاق في سائر ميادين البحث العلمي . (أبو ريّان، ١٩٩٦، ٤-٥)

وفي الوقت الّذي بدا فيه عالم القرون الوسطى مقفلاً على تراتبيّة طبقيّة معينة وقائماً على سيادة الكنيسة، بدأ المجتمع في عصر التّنوير يشهد انتفاضة ديناميّة إضافة إلى الظّهور القوي للتّيار الإنساني الّذي رفض تحجّر فكر القرون الوسطى ويدفع نحو إعادة بعث الإنسان مجدّداً

وإخراجه من أطر الفكر القديم، حيث اهتمّت الدّراسات الإنسانيّة بشؤون التّربية الذّهنية والفنيّة، كما يتجلّى ذلك في نموذج الإنسان العالمي الّذي تعتبر الدّرجة الّتي يبلغها في العلم والتّربية مقياساً لصفته الأخلاقيّة.

وقد تميّز عصر التّنوير ببروز اتّجاهين:

العقلانيّة: (خاصّة في فرنسا وألمانيا) ويزعم أبرز ممثّلي هذا التّيار أن بإمكانهم معرفة بناء الحقيقة انطلاقاً من مبادئ الفكر المجرّدة ومثّله كل من "ديكارت" و "ليبنتز" و "سبينوزا".

التّجريبيّة: (خاصّة في بريطانيا وبعد ذلك في فرنسا) ومثّلها "بيكون" و "هوبز" و "لوك" و "بيركلي" وأخيراً "هيوم". وترى أنّ أسس المعرفة قائمة على الحس وكان لأفكار هذا الاتّجاه أثر هام في نشأة العلم الطّبيعي والتّأكيد على دور الفرد في فلسفة الحق وفي الفلسفة السّياسيّة.

(كونزمان وآخرون، ١٩٩١، ١٠٤ – ١٠٥)

ويعد الفيلسوف الانكليزي "جون لوك" رائد التّجريبية وقد اعتبر الكثيرون أن فلسفته هي نقطة التّحول نحو عصر العلم والحداثة وسيادة التّفكير العلمي، حيث ارتبطت العلوم الطّبيعيّة بالتّجريب، فالتّجربة وحدها مصدر المعرفة بحسب "لوك" والعقل وحده لا يكفي لمعرفة الحقائق وعلوم الرياضيات والمنطق التي تعتمد على فروض واستنتاج بدون تجارب وقراءات غير كافية للوصول إلى الحقيقة.

ومن هذا المنطلق أسّس **لوك** نظريّة عُدّت من أهم النّظريات في المعرفة في تاريخ البشريّة – على الرّغم من بعض الانتقادات الّتي وجّهت لها – وعرضها في كتابه "مقال في الفهم البشري" كما قدّم جملةً من الأفكار السياسيّة كانت بمثابة أسس راسخة لقيام المجتمع المدني العلماني بما يحمله من مفاهيم العدالة والمساواة وترسيخ مبدأ العدالة الاجتماعيّة، وبذوراً لفكرة العقد الاجتماعي بين الشّعب والسلطة وما يقتضي ذلك من سيادة القانون وفصل السّلطات وتعاونها وممارستها الرّقابة لبعضها البعض. فمن هو جون **لوك؟** وما هي مضامين فلسفته؟

١- من هو جون لوك؟

١-١ حياته:

"رسول ثورة ١٦٨٨ وهي أشدّ الثّورات اعتدالاً وأكثرها نجاحاً وكانت أهدافها متواضعة، بل لقد تحقّقت تماماً، وحتّى الآن لم تكن ثمّة ضرورة لقيام ثورة بعد ذلك في انكلترا. و**لوك** يجسّد بإخلاص روحها" (رسل، ١٩٧٩، ١٧٠)

هذا ما قاله الفيلسوف والرّياضي الانكليزي "برتراند راسل" عن "جون لوك" في كتابه "تاريخ الفلسفة الغربيّة"، حيث عزى فيه التّطور السّياسي والفكري والمعرفي لإنكلترا لأفكار هذا الفيلسوف العظيم، ونظريّته في المعرفة والسّياسة. فمن هو جون **لوك؟**

ولد "جون لوك" في ٢٩ آب عام ١٦٣٢ أثناء حكم الملك شارل الأوّل ملك انكلترا، وينتمي إلى أسرة من "المتطهّرين"* الطّبقة الوسطى، في المجتمع الانكليزي، وكان مولده في بلدة "رنجتون" Ringtown، على مقربةٍ من "برستون" Breston بمقاطعة سومرست Sumrest بانكلترا.

نشأ "لوك" في بيئة محافظة متديّنة وقد عمل والده بالمحاماة في الرّيف وأنشأ نجله بحزمٍ وعنايةٍ، ولم يسمح له بلقاء الأصدقاء إلا بعد أن شبّ عن الطّوق. وقد تأثّر "لوك" بتعاليم "المتطهّرين" ومن بينها حب الحريّة والرّحمة والشّفقة بالغير، ويقظة الضّمير واتّزان الشّخصية وتماسكها والحذر والاعتماد على النّفس. التحق "لوك" بكليّة "وستمستر" في لندن بين سنتي ١٦٤٦ و١٦٥٣ وبعدها بكليّة "المسيح" في "أكسفورد" عام ١٦٥٣ حتّى سنة ١٦٥٩، وعرف عن عميد هذه الكليّة حينذاك "جون أوين" دفاعه الشّديد عن التّسامح الدّيني (أبو ريّان، ١٦١،١٩٩٦)

ولكنّه لم يفد من دراسته في تلك الجامعة إلّا قليلاً، لما كان يسودها من روح جامدٍ عقيم، لا يتّفق مع ما كان ينزع إليه من الحريّة الّتي ظلّ ينشدها حتّى وافته منيّته. (محمود، ١٩٣٦، ١٩٦) وفي وسط الجو المشحون بشتّى الآراء السّياسيّة استطاع **لوك** أن يتحرّر من التّقليد والتّمسك بآراء جماعة معيّنة فقد ظلّ مستقلاً عن سائر الجماعات السّياسية ومع هذا فقد استفاد

كثيراً من محادثاته مع أفراد هذه الجماعات من الطّلبة وغيرهم، كما أفاد كثيراً من الكتابات الّتي عكف عليها فقد استوعب كتابات "بيكون Bacon، هوبز Hobbs، ديكارت"Descartes ودرس اللّغات القديمة والنّحو والمنطق الصّوري. وبعد حصوله على البكالوريوس من كليّة "المسيح" بـ "أكسفورد" التحق بقسم الدّراسات العليا في الجامعة حيث كان يتابع أبحاثه، وفي نفس الوقت يلقي بعض الدّروس والمحاضرات، وانصبّت أبحاثه ودراساته الجديدة على علوم الطّبيعة والكيمياء والأنواء الجويّة والطّب. أمّا عمله في التّربية فقد عهد "إيرل شافتسبري" الأول إلى **لوك** بتربية "إيرل شافتسبري" الثّاني وكان الأول يمهّد لثورة ١٦٩٩ وساعده "لوك" في هذا العمل السّياسي الخطير (أبو ريّان، ١٩٩٦، ١٦٢ –١٦٣). واضطره النزاع بين حزب البرلمان وتشارلس الأول إلى مغادرة إنجلترا فقصد إلى فرنسا مرّتين (١٦٧٢، ١٦٧٥–١٦٧٩) حيث كان معظم وجوده في مونبلييه، ثمّ إلى هولندا (١٦٨٣) حتّى نشوب ثورة ١٦٨٨، فعاد إلى وطنه في السّنة التّالية (كرم، ١٩٨٦ ،١٤٢) وقد تعرّف في فرنسا على رجال العلم والفكر، من بينهم "مالبرانش" و"أنطون أرنوجينا". وبعد أن نجحت ثورة ١٦٨٨ تمكّن من العودة إلى انكلترا على نفس الأسطول الّذي حمل الملكة ماري عام ١٦٨٩ وقد تقلّد في العشرين سنةً التّالية عدّة مناصب سياسيّة وإداريّة هامّة. أما في سياق الحركة الإنسانيّة فقد تزعّم **لوك** حركة المطالبة بحقوق الإنسان، فهاجم الحقّ الإلهي للملوك واستبدادهم، ودافع عن الحريّة ومبدأ فصل السّلطات، وفي ميدان المعرفة كان من الأوائل الّذين أسهموا في وضع مشكلة المعرفة بمعناها الحديث، وله يعزى الفضل في تطبيق المنهج التّجريبي الاستقرائي في مجال الفلسفة ولا سيّما نظريّة المعرفة (أبو ريّان، ١٩٩٦، ١٦٣) وقد كره **لوك** "المدرسيّة" ونزعة التّعصّب عند المستقلّين، وتبعاً لنظريّاته السّياسيّة يجب أن يُعامل كمؤسّس لليبيراليّة الفلسفيّة بالقدر الّذي يعدّ فيه مؤسّساً للّتجريبيّة في نظريّته المعرفيّة، حيث تعدّ نظريّاته جزءاً لا يتجزّأ من الدّستور الأمريكي، كما تأسّس الدّستور الانكليزي على نظريّاته حتّى نهايات القرن التّاسع عشر، وكذلك الدّستور الّذي اختاره الفرنسيّون سنة ١٨٧١. حيث كان نفوذه في فرنسا ضخماً، ويرجع الفضل في ذلك إلى "فولتير" الّذي ترجم لأبناء وطنه الأفكار الانكليزيّة في "الرّسائل الفلسفيّة". وكان من أبرز أتباعه "باركلي" Barkly و"هيوم" Hume (راسل، ١٩٧٧، ١٧٣). استطاع **لوك** أن يلعب في الحياة الانكليزيّة دوراً خطيراً، أولاً لقوّة قلمه وذيوع كتاباته وشدّة تأثيرها في النّفوس، وثانياً لما امتاز به من نشاط جم ومقدرة فائقة في توجيه السّياسة وتشكيلها. فلمّا اكتهل وأضعفته

الشّيخوخة آوى إلى الرّيف الهادئ الجميل يقضي فيه آخر سنيّه، ثم توفّي عام ١٧٠٤ وله من العمر ثلاثةٌ وسبعون عاماً. وقد شهد له معاصروه جميعاً بالإخلاص للحق والتّفاني في سبيل الحريّة، كما عرف في قومه بالاعتدال والحكمة، وامتازت كتاباته بالقوّة والوضوح ودقّة الأسلوب. (محمود ،١٩٣٦، ١٩٩). هكذا كانت حياة "لوك" التي خاض فيها غمار الحياة السّياسيّة والفكريّة في مرحلةٍ –اعتبرها الكثيرون–بفضله مفصليّة في تاريخ انكلترا كما أشار راسل وغيره ممّن جاؤوا بعده، حاملاً أفكاره الثّوريّة في السّياسة والعلم والمعرفة، والتّربية والتّسامح الدّيني، مستنداً لشخصيّته الواثقة المؤثّرة في الآخرين، والّتي ظهرت جليّةً في مؤلفاته الشاملة لكل نتاجه الفكري.

١–٢ مؤلفاته:

تعدّدت المجالات الفكريّة والعلميّة الّتي خاض فيها "لوك"، وتراوحت درجة التّركيز والاهتمام الّتي أولاها لكلّ مجال. فقد كتب في الطّب والسّياسة والفلسفة والتّربية والدّين والمعرفة، وحملت مؤلّفاته أسلوباً علميّاً راقياً تجاوز التّقاليد والموروث الجامد والأفكار المسبقة، وأسّس لفكر علميّ يقوم على التّجربة والاستفادة من نتائجها، وكلّ ذلك في إطار أخلاقيّ رفيع يحترم قيم الإنسانيّة وحريّتها في الإبداع والتّطور. وفيما يلي عرضٌ موجز لأهم مؤلّفات "لوك" الّتي أنجزها في حياته:

من المثير أن نعلم أن باكورة أعمال "لوك" كانت في الطّب، حيث نشر رسالة في التّشريح عام (١٦٦٨) ثمّ نشر أخرى في "الفن الطّبي" عام (١٦٦٩) حيث أعلن أنّ النّظريات العامّة توقف سير العلم وأنّه لا فائدة إلا في الفرض الجزئي الموجّه إلى إدراك العلل الجزئيّة فيبيّن بذلك عن اتّجاهه التّجريبي (كرم،١٤٢،١٩٨٦).

وكان من أعمال "لوك" الشّهيرة كانت رسائله في التّسامح Message OF Tolerance، حيث كانت رسالته الأولى في عام (١٦٨٩) أما الثّانية فكانت في عام (١٦٩٠) والثّالثة في عام(١٦٩٢) (راسل، ١٩٧٧، ١٧٠).

وقد دافع في كتاباته عن التّسامح عن حقّ الأفراد في الحريّة الشّخصيّة، حيث يجب أن يكون لكلّ إنسان الحق الكامل في إبداء آراءه حرّاً من كلّ قيد، فليس من الحكمة إرغام النّاس على عقيدة معيّنة أو رأي خاص، كما أنّ حريّة العقيدة الدّينيّة واجب في عنق الدّولة وليس لهذه الأخيرة أن تتدخّل في الفرد وعبادته شرط ألا يعرّض الفرد سلامة الدّولة للخطر. (محمود،١٩٣٦، ٢٠٠).

أما في مجال السّياسة فقد كتب **لوك** مقالتين ففي "الحكومة المدنيّة" Tow Treatises Of Government أراد فيهما أن يرد على أنصار الأسرة المالكة القديمة – أسرة ستيوارت –الّتي ترى أن الدّولة هي امتداد للأسرة وأنّ المَلَكيّة نظام مقدّس إلهي فلا يجوز أن خلع الملك أو مهاجمته، فكان رد "لوك" بأنّ الدّولة عقد تمّ بين الأفراد لحماية متاعهم وأملاكهم، فالمرجع النّهائي فيمن يولّى العرش هو الشّعب. ويوضح هذا الكتاب نظرته للحكومة الّتي سيعرضها الباحث في فقرات لاحقة (محمود،١٩٣٦ ،١٩٩). وفي عام (١٦٩٠) أتمّ **لوك** كتابه الشّهير "محاولة في الفهم الإنساني" والكتاب مقسّم لأربعة مقالات: الأولى في الرّد على المعاني الغريزيّة، والثّانية في تقسيم المعاني "بسيطة ومركّبة" وبيان أصلها التّجريبي، والمقالة الثّالثة في اللّغة ووجوه دلالة الألفاظ على المعاني وتأثير اللّغة على الفكر، ومعارضته الفلسفة المدرسيّة باعتبارها فلسفة لفظيّة. والمقالة الرّابعة في المعرفة، أي في اليقين الميسور لنا. (كرم،١٩٨٦، ١٤٣) وعن التّربية ألف "لوك" كتابه الشّهير "بعض الأفكار في التّربية" عام (١٦٩٣) عرض فيه جملةً من الآراء القيّمة تتضمّن حريّة الفرد في التّفكير، ولكي يحقّق للطّفل الحريّة الّتي ينشدها له يطالبنا "لوك" بأن لا يكون التّعليم تحت إشراف حكومة أو كنيسة، لأنّ هذه أو تلك ستحاول أن تبثّ في النّشء ما يتّفق وأهواءها من الآراء والعقائد. (محمود،٢٠٣،١٩٣٦).

عرض "لوك" من خلال هذه المؤلّفات أفكاره التّجديديّة في المعرفة والسّياسة والمجتمع المدني والتّربية، إضافة لفلسفة راقية في التّسامح الدّيني والإنساني. ومع اتّساع المجالات الّتي عمل فيها "لوك" بحثاً وتأليفاً نجد في أعماله انعكاساً لحياة ملؤها التجربة والمحاولة والمغامرة الفكرية

والسياسية الّتي أنتجت بحقٍّ أسساً راسخة لتطور سياسي وعلمي ظهر جليّاً في المراحل التّالية له.

٢- نظرية المعرفة عند جون لوك:

تعتبر نظرية المعرفة من الأقسام الأساسية في الفلسفة، ذلك لأن، معرفة كيف نعرف؟ وقيمة ما نعرف وحدود معرفتنا بالأشياء كل تلك تدخل ضمن مجال نظرية المعرفة بل إن نقد المعرفة العلمية تدخل كذلك في مجال نظرية المعرفة.

ويعتبر **لوك** أول من درس نظرية المعرفة في العصر الحديث دراسة علمية ومستقلة، بل إن المؤرخين يحددون بداية التفكير الحديث بنظرية المعرفة بسنة ١٩٦٠ وهي السنة التي طبع فيها **لوك** كتابه الرئيس فيها **محاولة في الفهم البشري** الذي قضى شطراً كبيراً من حياته وهو يؤلف فيه وافتتح من خلاله عصراً جديداً في مجال نظرية المعرفة (داود، ٢٠١٠، ٣١٤) وقد قام الباحث بتحديد أهم الأسس التي بنى عليها **لوك** نظريته المعرفية تماشياً مع هذا فصول هذا الكتاب وبالاستعانة بالدراسات السابقة التي تناولت نظرية المعرفة عند **جون لوك** وذلك وفق الآتي:

٢-١ نقد الأفكار الفطريّة:

نظرية المعرفة عند **لوك** ذات جانبين الجانب الأول: سلبي يرفض فيه **لوك** الأفكار الفطرية التي نادى بها الفلاسفة العقليون. والجانب الإيجابي يقر فيه أن التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة. والأفكار الفطرية هي الأفكار التي توجد في العقل البشري منذ لحظة الولادة، أو هي أفكار موجودة في العقل وغير مستمدة من التجربة حيث يسلم جميع الناس بصحتها ومعرفتها (داود،٢٠١٠، ٣١٥) وكان لوك قد استهلّ كتابه الشّهير "مقال في الفهم الإنساني" بنقد نظريّة الأفكار الفطريّة حيث يقول:

"إنّ الطّريقة الّتي تظهر الكيفيّة الّتي نحصل من خلالها على معرفة كافية لتثبيتها ليست طريقة فطريّة. فالمعرفة الفطريّة وجهة نظر تمّ تأسيسها في أوساط البشر، ومفادها أن هناك مبادئ فطريّة في الفهم الإنساني (كبعض المفاهيم الأساسيّة، وبعض الشّخصيّات) تأتي كما لو أنّها كانت مطبوعةً في عقل الإنسان، حيث أنّ الرّوح تلقّتها في بدايات تكوّنها وجاءت معها إلى

الحياة. وسوف يكون من السّهل إقناع القارئ غير المتحيّز بخطأ هذا الافتراض إذا وضحت له فقط (وهذا ما أتمنّى وعليّ فعله من خلال أجزاء هذا المقال) أنه يمكن للنّاس عبر استخدام قدراتهم الطّبيعيّة الوصول للمعارف بدون مساعدة أي انطباعات فطريّة، بل يمكنهم بلوغ اليقين دون الحاجة لأي من تلك المبادئ (١٢٥ , ١٩٩٩, Locke). وقد تمحورت معظم أفكار هذا الفصل في المقال حول اعتبار عقل الطفل عندما يولد خالياً دون أي أفكار مسبقة مع التسليم بوجود ميول وطباع وأشياء يحبها ولا يحبها. ويرى لوك أن التعليم في هذه المرحلة يكون من قبل الأهل حتى يصل الطفل إلى مرحلة الكتب. أي المرحلة المدرسية التي يستطيع فيها الطفل القراءة (Gianoutsos,٢٠١٠،٢) وقبل أن نخوض أكثر في تفاصيل نقد لوك للأفكار الفطرية لنتعرف على هذه النظرية بإيجاز، فما هي نظرية الأفكار الفطرية؟

يقول التّعريف الشّائع لهذه النّظرية أن الطّفل يولد وقد كتب في عقله عدد من الأفكار يستخدمها أصولاً لتفكيره وسلوكه، والنظريّة حسب هذا التّعريف لها صورتان، واحدة نادى بها أفلاطون، والثّانية نادى بها ديكارت. أمّا أفلاطون فكان يعتقد أنّ الإنسان قبل أن يولد وينتشر على هذه الأرض كان يعيش بردحة في عالم بلا جسم، وكان يتجوّل فيدرك ويتصوّر ويكتسب طائفة من المعلومات تتعلّق بالقيم والكلّيات، وكان يدرك أيضاً الأشياء الماديّة كالشجرة والنّبات والحيوانات وغيرها، فلمّا قُدّر له بعد ذلك أن ينزل للأرض ويحلّ بها، أصبح كلّما رأى شيئاً جزئيّاً يتذكّر مثاله الأصلي الّذي رآه من قبل في عالم المثل.

أمّا الصّورة "الدّيكارتيّة" فيرى فيها ديكارت أنّ الطّفل يولد وقد وضع الخالق في عقله عدداً من الأفكار والتّصوّرات والقيم، يسير تبعاً لها حين يكبر وينضج، ومنها البديهيّات الرّياضيّة والمنطقيّة وقوانين العالم الطّبيعي مثل قوانين الحركة (مصطفى، ٢٠٠١، ٢٥٨).

ويرفض **لوك** التسليم بوجود أفكار ومبادئ فطرية في العقل البشري وينتقد أصحاب هذه النظرية بشدة، ويقسم الأفكار الفطرية إلى نوعين للرد عليهما ويفند كلا القسمين معاً:

أ- **المبادئ النظرية:** وتشمل المبادئ المنطقية التي هي أساس كل استدلال وتكون واضحة بذاتها ولا تحتاج إلى برهان مثل قانون الذاتية وقانون التناقض حيث ذهب الفلاسفة العقليون إلى أن هذه المبادئ فطرية لأنها محل إجماع الناس، لكن **لوك** رد عليهم بأن

هذه الأفكار ليست معروفة عند جميع الناس بدليل أن الأطفال والبلهاء لا يعرفونها (داود،٢٠١٠، ٣١٧) وهنا يحضرنا قول "لوك" الأولاد والأشخاص البلهاء ليس لديهم علم بهذه المبادئ "الفطرية" وهذه الحقيقة وحدها كافية لتدمير الإجماع العام بوجود أفكار فطرية مطبوعة في العقل والرّوح (Locke ١٩٩٩ , ١٢٥). **ولوك** يعتقد ن الإنسان يولد وعقله كالسبورة الممسوحة، وبالتجربة والتجربة وحدها يعرف الإنسان ما يعرف. الماء يغلي في درجة ١٠٠ لأن هذا ما نشاهده بالتجربة والقياس. وليس هناك طريقة أو أسلوب ما يمكننا من استنتاج هذه المعلومة بدون تجربة، وحجة **لوك** هي عدم وجود دليل مادي يدعم هذه المقولة، وقدرة الإنسان على التّعلم لا تعني أنه مولود ولديه معلومات بالفطرة. كل ما لديه معلومات مكتسبة (توفيق، ٢٠٠٩، ٩).

ب-**المبادئ العملية:** رفض **لوك** كذلك أن تكون المبادئ العملية فطرية والتي تشتمل على الأخلاق والقانون والضمير وذهب إلى أن الأخلاق ليست محل إجماع الناس، إذ يختلف المفهوم الأخلاقي بين شعب وآخر وكذلك العقائد الدينية تختلف من شعب لآخر وكذلك فإن الضمير ليس فطرياً في العقل فلو كان كذلك لأصبح محل إجماع الناس ولأصبح مفهومه واحداً لدى جميع الناس ولكن الواقع يبين أن مفهوم الضمير يختلف من شعب لآخر (داود،٢٠١٠، ٣١٧)

وكذلك يشير "لوك" في الباب الأول من كتابه إلى مقصده بوضوح، وهو أن الفطرية هي مذهب الحكم المسبق ولو كان قراؤه براء من الحكم المسبق لما كان انتقد المذهب بحد ذاته، ولكان "كفاه أن يبين أن الناس يمكنهم تحصيل جميع المعارف التي بحوزتهم بمجرد استخدامهم قدراتهم الطبيعية بدون معونة أي انطباع فطري وأنهم يستطيعون البلوغ إلى يقين تام بصدد عدد من الأشياء بدون أن تكون بهم حاجة إلى أي من تلك المبادئ أو المعاني الفطرية (برهييه ، ١٩٩٣ ، ٣٣٠). ويرى "لوك" أن المذهب الغريزي لو كان صحيحاً لما كان هناك حاجة للبحث عن الحقيقة بالملاحظة والاختبار. ومن هذا المنطلق يقول "لوك" بأن الإنسان يولد وعقله "صفحة بيضاء" خالية من أي معانٍ وأفكار، وعندما تبدأ عمليّة الإحساس تنقش عليه الانطباعات الحسيّة ويأخذ في تكوين الأفكار عنها، وعلى هذا فالإحساس سابق على التّفكير ولا يتضمّن العقل أي فكرة لم يكن الحس مصدرها فيتعيّن علينا إذن الاتّجاه إلى الطّبيعة الثّابتة للأشياء، ومعرفة

علاقاتها الواقعيّة لا أن نأتي بها كما هي إلى فكرنا (أبو ريّان،١٩٩١، ١٦٥).ويريد **لوك** القول في هذا السّياق أننا حين ندرك شيئاً ما، لا ندركه مباشرة، وإنّما ندرك بطريق غير مباشر، ندركه عن طريق أفكارنا عنه، هذه الأفكار هي ما أدركه، أي أنّ الفكرة هي الواسطة بيننا وبين عالم الأشياء، ونحن على يقين منها (مصطفى، ٢٠٠١، ٢٥٧).

إذن فقد طرح لوك هذه المشكلة (مشكلة المعرفة الفطرية) وحاول معالجتها انطلاقاً من موقع مادي، حيث بدأ بطرح الحجج والبراهين التي ذكرها دعاة نظرية الأفكار الفطرية مستهلاً ذلك بحجة الإجماع الكلي حيث رفض هذه الحجة لأنها لا تستند إلى أي أساس (عبد الرحمن، ١٩٨٤، ١٨١)

وفي سياق حديثه عن الأفكار التي يتبناها البشر ذكر **جون لوك** أن النّاس يختلفون في التفكير ويأخذ تفكيرهم عدّة أنماط:

١- البعض يعتمد في تفكيره على غيره وقلما يفكر بنفسه ولكنه يفكر كما يفكر غيره من آبائه وأجداده وأساتذته ويوافقهم فيما يبدوه من الآراء ولا يكلف نفسه بحثاً أو تفكيراً بل يقلد غيره في أفكاره تقليداً غير مصحوب بفحص أو نقد أو تمحيص.
٢- البعض تتغلب عليه العاطفة في أفعاله ومناقشاته فينقاد لها أكثر من انقياده إلى التفكير فيصغي إلى وجدانه أكثر من إصغائه إلى عقله، ولا يعمل بآراء غيره إلا إذا وافقت طباعه ورغباته وميوله.
٣- من الناس من يفكر فيما يقول وما يعمل محكما العقل والمنطق والتجربة معتمداً على نفسه في بحثه وتفكيره حتى يصل إلى الحقيقة المنشودة ولا يعارض في الاستعانة بتجارب غيره إن وجدت ويجمع الحقائق والملاحظات التي يمكنه استخدامها في تفكيره للوصول إلى غرضه وهذا ما يدعى بالتفكير المنطقي، وهو أرقى أنواع التفكير.
٤- ومن الناس من يضيق عقله فيفكر بنفسه لكنه لا يتقبل آراء غيره مطلقاً (الجرجاوي، ٢٠١٣،٢١٦)

لا شيء في العقل إذاً سوى ما تنقله الحواس. والعقل يكون عند الولادة كالصفحة البيضاء خالياً من كل شيء وتأخذ الحواس والتجارب في الكتابة على هذه الصفحة بوسائل كثيرة إلى أن تلد الحواس الذاكرة والذاكرة تلد الآراء. وكل هذا يؤدي إلى النتيجة التي تقول إن الأشياء المادية هي

وحدها التي تؤثر على حواسنا فالحواس هي وسائل الأفكار وبالتالي فإن المادة بالضرورة هي التي يستمد منها لعقل أفكاره وآراءه.

٢-٢ تصنيف الأفكار:

يقول "لوك" في بداية القسم الثّاني من كتابه: "الأفكار هي موضوع التّفكير، كل شخص واعي بأنّه يفكّر وبأنّ دماغه يطبّق الأفكار الموجودة لديه. وهناك شكّ قديم بوجود عدّة أفكار في عقول البشر عبّر عنها بكلمات مثل البياض الصلابة الحلاوة التّفكير الحركة وغيرها. في المقام الأول لا بدّ من الاستفسار من أين أتت هذه الأفكار؟ أنا أعلم أن هناك عقيدة لدى البعض تقول أنّ البشر لديهم أفكار أصيلة وشخصيّات مطبوعة في أذهانهم منذ حياتهم المبكّرة. وجهة النّظر هذه اختبرتها للتّو في كتابي السّابق لذا سيكون من السّهل الإقرار بالطريقة الّتي يحصل فيها الإدراك على الأفكار الموجودة فيه، وبأي طرق ودرجات تصل هذه الأفكار للّذهن ويجب علي بعدها أن أتابع لأبحث في خبرة كل شخص وتأمّلاته" (Locke , ١٩٩٩ , ١١)

ومن هذا التساؤل حول كيفية تكون الأفكار في عقل الإنسان اتجه **لوك** نحو تصنيف الأفكار فالفكرة عند لوك هي أي شيء يكون موضوعاً للتفكير، ولا يمكن أن يقوم العقل بوظيفته الأساسية بدون الأفكار أي أن الأفكار هي مادة التفكير، لذا نرى أن لوك يحلل الأفكار تحليلاً دقيقاً ويقسمها من حيث تركيبها إلى نوعين:

١- **الأفكار البسيطة:** وهي الأفكار التي نحصل عليها عن طريق الحواس بصورة بسيطة وغير ممتزجة مع غيرها.
٢- **الأفكار المركبة:** هي التي يكونها العقل من خلال العمليات العقلية العليا من تركيب ومقارنة وتجريد (داود،٢٠١٠، ٣١٩-٣٢٠)

وسيعرض الباحث فيما يلي شرحاً تفصيلياً لأنواع الأفكار عند **لوك.**

فالأفكار البسيطة هي ما كان معطى حسيّاً في مقابل الفكرة الّتي يوجها العقل، أو يكون عنصراً في تأليفها، والأفكار البسيطة هي صفات الأشياء مثل البرودة والصلابة والحلاوة والألوان وهي صفات تتبع إما من الإحساس أو من الفكر كما تعتبر هذه الأفكار مادة معارفنا ويحصل عليها

العقل من الخبرة إلا أن العقل لا يستطيع أن يصطنعها أو يحطمها فالعقل هنا سالب أو سلبي أمام الأفكار البسيطة.

وتقسم الأفكار البسيطة لأربعة أنواع:

أ- أفكار تصل إلى العقل بواسطة حاسة واحدة كأفكار اللّون والصّوت والرّائحة.
ب- أفكار تصل إلى العقل بواسطة أكثر من حاسة كأفكار المكان والشّكل والحركة.
ت- أفكار تتكوّن في العقل بواسطة الاستبطان، وهي ما يسمّى بالعمليّات العقليّة (**فلوك** يرى أن فينا عمليّتين عقليّتين أساسيّتين هما الفكر والإرادة ويتفرّع عن عمليّة الفكر عمليّة الإدراك الحسّي والتّصور والتّخيل والإثبات والنّفي والاستدلال والتّذكر وما إلى ذلك).
ث- أفكار تتكوّن بواسطة الإحساس والتّأمّل الذّاتي معاً، كاللّذة والألم والسّرور والقلق أو الحزن والوحدة والتتّابع. فالقوّة ناتجة عن معاناة الإرادة الإنسانيّة والاختيار فينا (داود، ٢٠١٠، ٣٢٠). في هذه الحالات كلّها تشير كلمة التّفكير إلى مجرّد الإدراك الباطن لهذه القدرات والأفكار البسيطة التي هي في آن معاً أفكار الإحساس وتفكير من قبل فكرة الوجود وفكرة الديمومة وفكرة العدد. وهنا تحديداً يبدأ التّعقيد: فالفكرة لدى ديكارت تمثيلية فهي صورة للأشياء. فهل تبقى كذلك لدى لوك؟

بلى بالتّأكيد (كما يرى برهييه) لأنّه يطرح على نفسه مسألة قيمة التّمثيل متسائلاً بصدد الأفكار الإحساسية البسيطة على الأقل، عن تلك الّتي تمثّل معها فعلياً العالم الخارجي لكن إذا كان هذا صحيحاً فهذا معناه أن أفكار الإحساس تضطلع لديه بدورين فهي من جهة أولى العناصر الأخيرة التي تتألف منها معارفنا أي نقاط انطلاق وهي بصفتها هذه متعادلة جميعاً وهي تمثل الأشياء المادية وقيمتها بصفتها أوساطاً بيننا وبين الأشياء متفاوتة أشد التفاوت وبالفعل إن **لوك** بصفته معني بالطبيعيات يتبنى نتائج مذهب جويل الآلي: فالامتداد والشّكل والجامدية والحركة مع أفكار الوجود والدّيمومة والعدد هي وحدها الكيفيات الأولى الّتي تمثّل لنا الأشياء كما هي ، أما الألوان والطّعوم والأصوات فهي كيفيّات ثابتة ينتجها فينا الانطباع الّذي تحدثه في حواسنا حركات شتى للأجسام شديدة الصّغر بحيث نعجز عن رؤيتها.

أضف إلى ذلك أن **لوك** ما كان حتى فيما يخص الكيفيّات الأولى يثق بقيمتها وثوق ديكارت بها فهذه الأفكار هي تلك الّتي يستخدمها العالم بالطّبيعيّات في تمثيل العالم الخارجي لأنّه لا يستطيع أن يستخدم في ذلك أفكاراً غيرها وعلى هذا النّحو إذا ما جعلنا من الاندفاع علّة الحركة فهذا فقط لأنّه يمتنع علينا أن نتصوّر أن جسماً يؤثّر في آخر من غير أن يمسّه أو إذا مسّه أن يؤثّر فيه بغير الحركة (عبد الرحم، ١٩٨٤، ١٥٤).

ولا بدّ من الإشارة هنا إلى أنّ فكرتي الزّمان والمكان عند **لوك** هما أيضاً من الأفكار البسيطة، ففكرة المكان تأتي بواسطة البصر واللّمس كما تنشأ فكرة الزّمان من تعاون مصدري المعرفة معاً: الحواس والفكر فندركه بالتّأمّل في تعاقب مشاعرنا وأفكارنا في العقل كما ندركه في تتابع الأحداث والأشياء بواسطة الحواس ، وهنا يستطرد "لوك" فيعقد مقارنة بين فكرتي الزّمان والمكان فيقول إنّهما يتلاقيان في أن كليهما لامتناهٍ وغير محدود ويتفارقان في أنّ المكان يمتد في عدّة اتّجاهات أمّا الزّمان فلا يمتد سوى باتّجاه واحد فقط (محمود، ١٩٣٦، ٢٠٩).

ويختم "لوك" في تناوله للأفكار البسيطة برؤيته أن الأفكار البسيطة لا يستطيع العقل الإنساني ابتكارها وإن كان يستطيع ابتكار فكرة مركّبة، ومثال ذلك أنّ الأعمى منذ الولادة لن يجد في عقله فكرة عن الألوان والأصم كذلك يمكن أن يصفها له الآخرون لكنّه هو ذاته لا يستطيع الحصول عليها بنفسه، بعكس الأفكار المركّبة (ابراهيم، ٢٠٠٠، ٢٦٥).

أما الأفكار المركّبة فهي التي يصنعها العقل من الأفكار البسيطة عن طريق العمليّات الذّهنيّة التي يقوم بها. ومعنى هذا أن الأفكار المركّبة ليست مجرّد صور ذهنيّة عن الأِشياء مثل الأفكار البسيطة بل هي من إنتاج العقل (**Bennett**،١٩٨٥،٩٢).

وليس معنى كونها من إنتاج العقل أنّها مجرّد أوهام بل هي حقيقة وكل الاختلاف بينها وبين الأفكار البسيطة أن الأفكار البسيطة تشير مباشرة إلى الأشياء، ذلك لأنّ الإحساس هو مصدرها، بينما لا تشير الأفكار المركّبة إلى إحساسات بل إلى أفكار بسيطة أخرى. وفي العقل طائفة كبيرة من الأفكار المركّبة مثل الجيش، لأنّه يشير لمجموعة من الجنود. إن مجموعة الجنود عبارة عن أفراد، كل فرد واحد منها جندي واحد، والإحساس يتلقّاه المرء وهو ينظر إلى هذه المجموعة عبارة عن أفراد جنود متجمّعين معاً، أمّا كون هذه المجموعة تشكّل جيشاً ففكرة مركبة يتوصّل إليها

العقل عن طريق إضافة هؤلاء الأفراد المتشابهين إلى بعضهم، فالإدراك الحسي لا يرى شيئاً اسمه جيش أمامه، بل يرى جنوداً، والعقل هو الّذي يفهم معنى كلمة جيش لا الحواس. والجمال أيضاً فكرة مركّبة لأنّها مكوّنة من عدد من الأفكار البسيطة، مثل فكرة التّناسق وفكرة اللّون والشّكل، وشعور الارتياح أو الاستحسان الّذي يشعر به المرء عند رؤية الشّيء الجميل. (Tukness, ٢٠١٠, ٧٦)

والأفكار المركّبة هي نتيجة العمليات الذّهنية التي يقوم بها العقل، وتنقسم هذه العمليّات الذّهنية إلى ثلاثة أنواع ينتج كلّ منها نوعاً من الأفكار المركّبة. هذه العمليّات الذّهنيّة هي:

الدّمج: حيث يجمع العقل فكرة بسيطة مع فكرة أخرى للوصول إلى فكرة مركّبة وذلك مثل فكرة الجيش الّتي شرحت آنفاً.

التّعليق: وفيه لا يدمج العقل فكرة بأخرى بل يحافظ على الفكرتين منفصلتين ومستقلتين لكن يربط بينهما بعلاقة، مثل إدراك العلاقة بين شيء سابق وشيء لاحق باعتبارها علاقة سببيّة بينهما، حيث يكون السّابق سبباً لحدوث اللّاحق، وكذلك أفكار المكان الّتي تعتمد على إدراك علاقات التجاور وعلاقات الجهة مثل اليمين واليسار والأمام والخلف والأعلى والأسفل، ذلك لأنّه لا يمكن إدراك هذه العلاقات إلّا بالرّبط بين الأشياء على أساس المكان الّذي تشغله بالنّسبة لبعضها البعض. وفكرة الزّمان أيضاً لأنّها تعتمد على علاقات التّوالي والتّزامن، وهذه العلاقات تصف التّرتيب الزّمني بين أشياء منفصلة.

-**التّجريد:** حيث يجمع العقل طائفة من الأِشياء المتشابهة ليدرك ما بينها من اشتراك وعموميّة، وهذا هو مصدر الأفكار العامّة، أي الكليّات والمجرّدات، مثل فكرة الإنسان الّتي يتوصّل إليها العقل بتجريد العام والمشترك في النّوع البشري(١٩٠-١٨١ , ١٩٩٩ , Locke).

وعلى هذا الحال تكون الأفكار المركّبة على الشّكل التّالي:

أوّلاً: أفكار مركّبة عن الأعراض: وفي أفكار أشياء لا تقوم بذاتها مثل المثلث والمربع وتنقسم لقسمين:

أ- أعراض بسيطة: كالعدد المركّب من تكرار الوحدة والمكان والزّمان.

ب- أعراض مركّبة: وهي تتألّف من معاني بسيطة مختلفة مثل معنى الجمال المركّب من لون وشكل ومعنى الواجب. الخ.

ثانياً: أفكار مركّبة عن الجوهر: وتنقسم لقسمين:

أ- جواهر مفردة: مثل فكرتنا عن إنسان ما.

ب- جواهر جمعيّة: مثل فكرتنا عن الجيش أو الإنسان بصفته العامة.

ثالثاً: أفكار مركبة عن العلاقات: وتنتج من التأليف بين أفكار متمايزة، فمعنى البنوّة يجمع بين فكرتي الأب والابن.

أمّا فكرة اللّامتناهي فهي فكرة ليست بسيطة كما توهّم ديكارت لكنّها فكرة مركّبة ومكتسبة سواء أضيفت لله أم للزّمان والمكان. وتأتي من إضافة كميّة معلومة بالتّجربة لكميّة أخرى مثلها. فليس اللّامتناهي موجوداً بالفعل يمكن تصوّر حدوده بل هو ناتج من تأثير عملية الجمع والإضافة في الذّهن فإنّها توحي بإمكان إضافة وحدات زمانيّة أو عدديّة أو مكانيّة مماثلة إلى ما لا نهاية ومن هنا اتّسم اللّامتناهي بطابع التّركيب وانتفت عنه البساطة.

ومن أفكار العلاقات أيضاً أفكار الزّمان والمكان والذّاتية والتّباين، وعلاقات أخرى مثل العلاقات النّسبية والتّنظيميّة والخلقيّة والطّبيعية (عبد الرحمن، ١٩٨٤، ٥٤-٦٠).

٢-٣ الفكر واللغة:

يتناول **لوك** في موضوع الفكر واللغة ثلاث نقاط أساسية هي:

الألفاظ وصلتها بمعانيها والأفكار.

الموقف من مشكلة الكليات.

التمييز بين الماهيات الاسمية والماهيات الحقيقية.

- **الألفاظ والمعاني والأفكار:**

بحسب **لوك** فأننا في معرفتنا للعالم الخارجي لا ندرك الأشياء المادية مباشرة وإنما ندركها عن طريق الأفكار، فإن ما ندركه إدراكاً مباشراً هو أفكارنا عن الأشياء فقط وهذا يتضمن أن معرفتنا للعالم الخارجي معرفة غير مباشرة عن طريق تلك الأفكار.

ويقسم **لوك** الألفاظ إلى قسمين هما: أسماء الأعلام والألفاظ العامة، ثم يقسم الأفكار إلى أفكار جزئية تتضمن الأفكار البسيطة والمركبة والأفكار العامة. ويبين لنا **لوك** أن استخدما الألفاظ العامة ضرورة لغوية لأننا لا نستطيع أن نضع لكل اسم جزئي اسما خاصاً به كأسماء الأعلام التي نعطيها لكل إنسان. فنحن لا نستطيع أن نعطي لكل منضدة اسم علم وإنما نجعل لمجموعة من الأشياء المتشابهة والتي تنتمي إلى نوع معين نعطيها اسماً واحداً، مثل منضدة أو كتاب أو قلم أو محيط وهذه هي الألفاظ العامة (محمود، ١٩٣٦، ٢١١).

وبعد أن قام **لوك** بتقسيم ألفاظ اللغة إلى أسماء الأعلام وألفاظ عامة وقسم الأفكار إلى جزئية وعامة، يذكر لنا **لوك** أن اللفظ لا بد له من مدلول وإلا يكون بلا معنى واللفظ لا يشير إلى شيء مادي أو إلى شخص معين وغالباً يشير إلى فكرة، فكلمة سقراط تشير مباشرة إلى فكرتي عن سقراط الفيلسوف اليوناني المعروف وهكذا فالعلاقة مباشرة بين الألفاظ والأفكار ومدلولاتها المادية وغير مباشرة بين الألفاظ والأشياء. لقد اعتمد **لوك** في هذه النظرية على نظريته المعرفية في الأفكار، وهي أننا ندرك أفكارنا بطريق مباشر بلا واسطة، لكننا ندرك الأشياء الخارجية بطريق غير مباشر أي بواسطة الأفكار التي ندركها مباشرة. ولقد لاحظ **لوك** أن هنالك من الألفاظ في اللغة ما لا يشير إلى شيء في الواقع ومنها ما نسميه في اللغة بالأدوات مثل حروف الجر وحروف العطف وما يسمى بالرابطة المنطقية أي فعل الكينونة وكذلك العلاقات فمثلا محمد بالكلية اسم علم يشير إلى فكرتي عن شخص اسمه محمد والكلية كلمة عامة تشير إلى فكرتي عن كلية معينة لكن الباء لا تشير إلى فكرة ولا إلى أي شيء آخر في الواقع الخارجي. وكذلك العلاقات ليست أشياء موجودة في الواقع الخارجي وإنما هي صور لفظية يضعها العقل أو اللغة لأغراض تتعلق بفهمنا للعبارات التي نقرأها أو نسمعها فمثلاً الكتاب على المنضدة، الكتاب كلمة تشير إلى فكرتي عن الكتاب ومواصفاته وشروطه وغير ذلك والمنضدة أيضاً كلمة تشير إلى فكرتي عن المنضدة ، ولكن كلمة "على" لا توجد بنفس الطريقة في الواقع، وعلى الرغم من ذلك فلا يمكننا الاستغناء عن هذه الكلمات التي تسمى في "المنطق" الكلمات البنائية، أي الكلمات التي تساعد على إعطاء تراكيب مفهومة بين الألفاظ، هذه الكلمات البنائية هي ما تطور في المنطق الرمزي وعرفت باسم "الثوابت المنطقية".(Locke,١٩٩٣،٣٨٧)

- **مشكلة الكليات:**

سبق أن أشار **لوك** إلى مشكلة الكليات في الباب الأول من هذا كتابه **مقال في الفهم الإنساني**. حيث يرى **لوك** أنها مشكلة قديمة يرجع عهدها إلى أفلاطون على أقل تقدير ويمكن أن نوجزها في العبارات الآتية:

إننا نرى في العالم أشياء جزئية كثيرة ومن مشاهدتنا لها نستطيع أن نقارن بينها فنجد أنه بين الأشياء عناصر متشابهة وعناصر مختلفة، فنرى مثلاً أن الليمونة والبرتقالة فاكهتان تتفقان في أشياء وتختلفان في أخرى، يتفقان مثلا في اللون وأنهما من الحمضيات. ونفس الشيء نراه في عالم الأفراد هناك أوجه شبه وأوجه اختلاف بينهما، وبعملية قد تبدو بسيطة نصل إلى أفكار مجردة غير محسوسة نعبر عنها بالألفاظ العامة، ولكن هذه الأفكار المجردة مشتقة من أفكار محسوسة لها وجود في الواقع الخارجي، ونحن على علم بقدرة الإنسان على التجريد، أي تجريد الصفات المحسوسة عن الأشياء المادية المحسوسة الواقعية، مما يمكنه من الوصول إلى افكار مجردة يحتفظ بها العقل مستقلة عن أصلها المادي المحسوس، هذه الأفكار المجردة نسميها أيضاً التصورات ونسيمها كذلك بالكليات إذن فاللفظ الكلي هو ما يشير إليه اللفظ العام. ولقد تخصصت ثلاثة اتجاهات في تحليل معنى الكليات وهي: المذهب الواقعي والمذهب الاسمي والمذهب التصوري.

يمثل أفلاطون أحد الدعاة الأوائل للاتجاه الواقعي بنظريته في المثل التي اعتبرها كليات تتضمن خصائص أساسية عامة، يندرج تحتها أفراد مختلفون. وقد تأثر به أرسطو إلّا أنّه اعتبر الكليات تؤلّف الأشياء الجزئية في العالم المحسوس بدلاً من وجودها في العالم الآخر، عالم المثل الأفلاطونيّة.

بينما يعتبر وليم أوف أوكام من فلاسفة القرن الرابع عشر الميلادي الّذين تحمسوا للاتجاه الاسمي، ثم سار توماس هوبز في القرن السابع عشر على إثره، وأقر وجود الكليات في عالم المحسوسات أو الجزئيات وكل لفظ لا بد من أن يشير إلى موجود جزئي في الواقع (Aldrich،١٩٩٩ ,٤٥)

والأسماء العامة ليست هي الأسماء الكلية، بل إن هناك فرق بين الاسم العام والكلي، هو الفرق بين أبيض وبياض، فليست الكليات أسماء وإنما هي نوع من الأشياء متميز عن الأشياء الجزئية سواء ألفت عالماً واحداً على حدة أو كانت معانٍ في الذهن. وبالطبع

يتعرض هذا القول لاعتراض أصحاب الاتجاه الاسمي، والجواب على هذا الاعتراض هو أن الاسم العام حين يشير إلى نوع من الأشياء أو الصفات إنما يفترض المشابهة والمشابهة علاقة والعلاقة فكرة يعبر عنها بكلية لكنها هي نفسها ليست كلمة. أما الاتجاه التصوري فخلاصته أن الكليات لا توجد في العالم الآخر ولكنها توجد في عالم الواقع المحسوس العالم المادي التجريبي، وهي ليست مجرد أسماء وإنما أفكار عامة مجردة ومعان قائمة في الذهن. وقد تحمس **لوك** لهذا الاتجاه، وهو يرى أن الكليات مستقرة في ذهن الإنسان بعد أن جردها من أصلها المحسوس، وهو موقف يتفق مع نظرية **لوك** في المعرفة فضلاً عن تمشيه مع ثوابت المذهب التجريبي. (إبراهيم،٢٠٠٠، ١٩٦)

- **التمييز بين الماهيات الاسمية والماهيات الحقيقية:**

هذه التسميات من وضع **لوك** نفسه وهو يعرف الماهية الاسمية Nominal Essence بأنها التصور العام أو الكلي وهي فكرة كلية مجردة. أما الماهيات الحقيقية فهي ذلك التركيب الداخلي الذي يؤلف حقيقة الشيء الجزئي، وهو يتفق هنا مع التعريف الأرسطي القديم للماهيات والذي يقول فيه أرسطو "حقيقة الشيء أو ما يؤلف طبيعته والذي لا يوجد الشيء إلا به متحققاً فيه. وبالتالي يمكن اعتبار أنّ الماهية الحقيقية للشيء المادي هي ما أطلق عليه **لوك** من قبل الجوهر المادي – الجوهر بمعنى حامل الصفات–إذن يربط **لوك** بين جهلنا بالجوهر المادي والماهية الحقيقية للأشياء، تلك الماهيات عند **لوك** مجهولة لنا لنفس السبب أي لعدم قدرتنا على إدراكنا لها إدراكاً حسيا (إبراهيم، ٢٠٠١، ٢٧٤ – ٢٧٦).

٢–٤ المعرفة: مراتبها وحدودها:

يذهب **لوك** إلى أن العقل البشري يستطيع الوصول إلى الصدق والحقيقة في معارفه، ولذلك فهو يرفض وجهة النظر الشكية رفضاً تاماً. والحقيقة أن مذهبه التجريبي كان يمكن أن يؤدّي به إلى نزعة شكيّة مثلما هو الحال عند هيوم، وذلك من منطلق أن كل معرفة تأخذ نقطة انطلاقها من الحواس والإدراكات الحسية معرضة للشك. لكن نفس المنطلق التجريبي الّذي أدى ببعض المذاهب الفلسفية إلى الشك مثل مذاهب الشك اليونانية كمذهب زينون الإيلي والمذهب الشكي الحديث لدى هيوم، يؤدي لدى **لوك** إلى القطع بيقين وصحة المعرفة الإنسانية.

المعرفة إدراك لتوافق أو لعدم توافق بين أفكارنا معبر عنه بحكم. والعلاقات بين أفكارنا يمكن أن تكون على ثلاثة أنواع: التّماثل أو التّغاير، والإضافة (والإضافات لا متناهية عدداً، ومنها: الأب والابن، الأكبر والأصغر، المتساوي والمتفاوت، والشّبيه والمباين، الخ)، والمشاركة في الوجود. غير أنّ التّماثل والمشاركة في الوجود هما حالتان مفردتان من الإضافة. المعرفة إذن إدراك لعلاقة. وهذه المعرفة هي، بالتّعريف، يقينيّة دوماً، وما يسمى بالإيمان والاعتقاد والاحتمال منتبذ خارج المعرفة. لكن من الممكن أن تكون مباشرة، حينما يتحصل لنا مثلاً إدراك حدسي بمساواة، أو متوسّطة، عندما لا ندرك هذه الإضافة إلا عن طريق برهان يردنا رويداً رويداً، إلى إدراك حدسّي (إسلام، ١٩٦٢، ١٧٤)

بيد أن المعرفة شيء آخر بعد لدى **لوك** ، وبالفعل إن هناك نوعاً رائعا من التوافق، "هو توافق وجود فعلي وواقعي موائم لشيء تكون فكرته حاصلة لنا في الذهن" ومن الواضح أن إدراك الوجود لا يحتمل الإرجاع إلى إدراك إضافة بين فكرتي : ذلك أن الوجود ليس على الإطلاق فكرة مثل فكرة الحلو أو فكرة المر، و**لوك** يميز على كل حال (وهذا ما لايفعله في أحكام الإضافة) أنواعاً في اليقين الحاصل لنا بوجود الأشياء فاليقين الحاصل لنا بوجود أنفسنا يقين حدسي بطريق التفكير واليقين الحاصل لنا بوجود الله هو، كما رأينا، يقين برهاني يرد إلى يقيننا بوجود أنفسنا ، أما يقيننا بوجود المحسوسات فهو يقين إحساسي ليس إلا. ولا ريب أنه من الخلف أن نشك في الوجود الواقعي لموضوعات قادرة على إحداث اللّذة والألم فينا، وندين لانطباعها بكل أفكارنا الإحساسية. وأخيراً في شهادة الحواس التي تؤيد واحدتها شهادة الأخرى. لكن **لوك** يقر بأن هذا اليقين هو يقين بالإضافة إلى شؤون هذه الحياة، التي لا تحتاج أصلاً إلى درجة أعلى من اليقين.

إن ثنائية هذين الحكمين، حكم الإضافة وحكم الوجود، تتجلى بمنتهى الوضوح في وضع مسألة الحقيقة. فالأحكام الكاذبة تنقسم إلى طائفتين: ففي الطائفة الأولى، لا تكون الإضافة المعبر عنها باللغة في القضية مناظرة للإضافة المدركة حدسياً بين الأفكار، ومن السهل تدارك الأمر في هذه الحال بالرجوع إلى الحدس، وفي الطائفة الثانية لا يمكن الخطأ في إساءة إدراك إضافة بعينها، بل في إدراكها بين أفكار ليس لها ما يناظرها في الوجود الواقعي. إذ يسعنا أن نتصور إضافات بين أفكار وهمية (وعلى سبيل المثال أن الهبغريف ليس قنطورساً) بيقين مماثل لذاك الذي نتصور به إضافات بين أفكار حقة وفي الحالة الثانية فحسب تتحصل لنا معرفة واقعية. تفترض المعرفة

الواقعية إذن اجتماع عنصرين كنا ميزنا بينهما: إدراك وجود إضافة بين أفكار، والوجود الواقعي لنموذج أولي لا تعدو الفكرة أن تكون تمثليه يلزم عن هذا أن مسألة واقعية المعرفة توضع وضعا متبايناً تبعاً للنظر في الأحوال المختلطة التي لا يكون لأفكارها المكونة في الذهن في الشروط المعروفة من نموذج أولي غيرها هي ذاتها، أو في الجواهر التي توجد نماذجها الأولية خارج أنفسنا. ففي الحالة الأولى، تتحصل لنا علوم يقينية تماماً، لأن كل شيء يرتد فيها إلى إضافات بين معان يضعها الذهن: وتلكم هي العلوم الرياضية والعلوم المعنوية (وعلى الأخص القانونية) التي تضاهي في يقينيتها الرياضيات، لأنها ترتكز إلى معان ثابتة ومضمونة هي الأخرى، وانطلاقاً من هذه المعاني يمكن البرهان، مثلاً أن الجريمة يجب أن تعاقب بمثل المتانة التي يبرهن بها على نظرية رياضية. وفي الحالة الثانية، يرجع إلى التجربة وحدها ان تقرر ما إذا كان الوجود المشارك للأفكار في أحكامنا يطابق الواقع (إسلام، ١٩٦٢، ٢١٠)

إن **لوك** هو الصانع الأول لذلك التحليل الإيديولوجي الذي سيهيمن لأمد طويل من الزمن على الفلسفة كضرب من توفيق وتسوية بين فن تأليفي يركب جميع المعارف الممكنة من عناصر بسيطة محددة وبين نزعة تجريبية تقرر بمقتضى التجربة والاستعمال أي من هذه العناصر وأي من هذه التراكيب هي القيمة. ويبرز هذا التحليل للعيان حدود الفهم في مظهرين: بان يشطب من المعارف أولاً جميع المعارف التي لا يمكن تحصيلها بالتركيب من قبيل معرفة المتناهي الفعلي ومعرفة الجوهر ومعرفة الماهية الواقعية ومعرفة الاختيار الحر، وثانيا جميع المعارف التي لا يمكن أن تبررها التجربة. وحبس المعرفة ضمن هذه الحدود معناه ضمان التسامح والسلم الاجتماعي. (برهييه، ١٩٨١، ٣٢٤-٣٤٥)

ما دمنا قد رفضنا الآراء الفطرية وأنكرنا أن تكون فكرة واحدة مما تحوي عقولنا موروثة فمن أين جاءت لنا المعرفة وما مصدر آرائنا؟ هذا هو موضوع الباب. وفيه يقول **لوك:** لنفرض أن العقل صفحة بيضاء لم يخط عليها حرف ولا فكرة فكيف تمتلئ هذه الصفحة الناصعة؟ جواب ذلك عندي كلمة واحدة هي "التجربة" فمن التجربة ينشأ علمنا كله وعنها يتفرع "(Locke,١٩٩٣،٦٩).
ولكن ماذا يعني "لوك" بكلمة "التجربة" التي هي قوام المعرفة كلها؟ يقول في ذلك " "إن ملاحظتنا للأشياء الخارجية المحسوسة، وللعمليات العقلية الباطنية، الأولى بالإدراك الحسي، والثّانية بالتأمّل

الباطني، هي التي تمد عقولنا بجميع أفكارها فهما (أي الإحساس والتفكير) المصدران اللّذان منهما تتدفّق المعرفة التي يصدر منها كل ما لدينا، بل كل ما يمكن أن يكون لدينا من أفكار".

وإذن فالتجربة عند **لوك** ذات شعبتين: فهي تجربة تستمد إما بالإحساس أو بالتأمّل الباطني ... ولكنه يقول إن الحواس تعمل أولاً، فتقدم إلى العقل طائفة من الأحاسيس، ثم يجيء بعد ذلك التّأمّل وما ينشأ عنه من أفكار "هذان وحدهما – على ما أعلم – هما النّافذتان الوحيدتان اللتان ينفذ منهما الضّوء إلى هذه الحجرة المظلمة. وأقول المظلمة لأنني أظن العقل شبيهاً بقاعة مغلقة لا ينفذ إليها الضوء" ومن ذلك ترى أنه يعتقد أن العقل شيء قابل منفعل ليس إلا، فلا يسعه إلا أن يدرك ما تقدمه إليه أعضاء الحس، أما هو نفسه فعاجز كل العجز أن يخلق بنفسه أفكاراً غير التي تمده به الحواس ، كما أنه عاجز أن يمحو شيئاً مما يتكون فيه من أفكار ، هو عاجز عن هذا وذاك عجز الإنسان عن خلق ذرة واحدة أو إعدامها فالعقل عند **لوك** لا يزيد على مرآة تنطبع فيها صور الأشياء الّتي تعرض له ، ولكنه بعدئذٍ يعود فيعترف له بشيء من الفاعلية يسير، إذ يقول إن العقل حينما يتقبل المواد الأوليّة التي يقدمها له الإحساس والتّأمل الباطني يكون لملكاته من القوة ما يستطيع به أن يجمع أشتات الآثار المتفرقة التي جاءت بها هذه الحاسة أو تلك ، فيركب منها أفكاراً مركبة . وبهذا يكون العقل قوة إيجابية تتناول ما ينطبع في صفحة الذهن من آثار ويؤلف منها أفكاراً ولكن **لوك** يسرع بملاحظة أن هذه قوة صورية محضة لأنها لا تضيف شيئاً جديداً إلى مادة الأفكار التي أتت إلى العقل من الخارج ولكن مهما قيل فيها فهي قوة فاعلة على كل حال. ومما يلاحظ هنا أن هذا القول من **لوك** بتعاون قوة العقل مع عناصر التجربة الآتية من الخارج في تكوين أفكارنا وتأليفها، هي الخطة التّمهيدية التي كملت فيما بعد فلسفة كانت. (محمود، ١٩٣٦، ٢٠٧-٢٠٩)

٢-٥ أنواع المعرفة عند لوك:

نستطيع أن نميز بين أربعة انواع من المعرفة تتدرج حسب درجة يقينها وهي على التوالي:

- **المعرفة الحدسية:**

والمعرفة الحدسية عند لوك أكثر يقينية وصدق من المعرفة الاستدلالية. وهذا الرّأي غريب بعض الشيء، لكون لوك يرفض فيه أن تكون المعرفة القائمة على مبادئ عقلية مجردة

تستخدمها في براهين للوصول إلى الصدق ذات أولوية أو أفضلية على المعرفة الحدسية ذلك لأنه يرفض نظرية الأفكار الفطرية منذ البداية.

ونلاحظ هنا أن **لوك** يستخدم الحدس بمعنى يختلف عن المعنى الّذي ذهب إليه ديكارت بالحدس لديه هو ما في العقل من قوة على إدراك العلاقة الكائنة بين الأفكار التي نحصل عليها بواسطة الإحساس أو التّأمل. فمع أن الإحساس قوة عقلية فإن موضوعه غير عقلي بل حسي. وبناءً عليه فالحدس لدى **لوك** لا يتعارض مع الفلسفة التجريبية. (إبراهيم، ٢٠٠٠، ٢٧٨)

- **المعرفة البرهانية:**

وهي المعرفة التي يحصل عليها العقل حين يدرك ما بين فكرتين من توافق أو عدم توافق ولكن ليس بصورة مباشرة بل عن طريق وساطة أفكار أخرى، مما يعني معه عدم إصدار حكماً مباشراً على قضية ما إلا بعد البرهان عليها، مما يعني ضرورة تحليل العقل للخطوات المتبعة في الوصول إلى هذا الحكم أي يقوم بعمليات استدلالية تساعده على إصدار مثل هذا الحكم مثل الاستدلال الرياضي والاستدلال على وجود الله تعالى.

وتعتمد المعرفة البرهانية على الحدس لأنه لا نستطيع أن ندرك التوافق بين أية فكرة والفكرة التالية لها في البرهان بواسطة الحدس وعليه فكل خطوة يتخذها العقل في الانتقال من فكرة إلى أخرى لا يدرك العقل ما بينها من علاقة مباشرة وإنما تنطوي على الحدس (داود، ٢٠١٠، ٣٢٤)

- **المعرفة الحسية:**

يعلمنا هذا النوع من المعرفة بوجود العالم الخارجي وبالتالي فهو يعتمد على الإدراك الحسي. ويرى **لوك** أن المعرفة الحسية تقل عن درجة البداهة واليقين والبرهان ولكنها في نفس الوقت أكثر يقيناً من المعرفة الظنية والاحتمالية. فإن مثل هذه المعرفة تساعدنا على إثبات وجود العالم الخارجي ودليله على ذلك قدرة العقل على التّمييز بين الحلم واليقظة (إبراهيم، ٢٠٠٠، ٢٧٩–١٨٠).

إن المعرفة الحسية تختص بوجود الموضوعات الجزئية التي يتألف منها العالم الخارجي، ويرد **لوك** بذلك على شك ديكارت في يقين وجود العالم الخارجي. ويقول **لوك** في هذا

الشّان: "يمكننا أن نكون على يقين من وجود شيء مستقل عنا يتطابق مع أفكارنا ومن البديهي أن العقل لا يعرف الأشياء الحسية المباشرة، وإنما يعرفها بواسطة أفكاره عنها، ومن ثم تكون معرفتنا حقيقية بقدر تطابق أفكار العقل مع الأشياء الموجودة خارجه.

- **معرفة الاعتقاد الناشئ عن الإيمان:**

هذه المعرفة الاعتقادية تأتي إلى الإنسان عن طريق الإيمان بالمعتقدات الدينية. ولا يمكن البرهنة على هذا النوع من المعرفة لسموه عن مستوى مداركنا وحواسنا بيد أننا نتمسك به بشدة لأنه يعد سراً من أسرار الإيمان. فهذا النوع من المعارف الاعتقادية يصلنا من الأديان والكتب المقدسة المرسلة إلينا من رب العالمين، وكان من الطبيعي أن يسلم بها **لوك** تسليماً بسبب عجزه عن البرهان عليها، فالعقل قاصر عن بلوغ ماهية الاعتقادات الدينية ومنها وجود الله تعالى نفسه.

- والصدق عند لوك هو اتفاق أفكار العقل عن الإدراكات الحسية، واتفاقها فيما بينها، بحيث تكون الفكرة الصادقة هي المتفقة مع الإدراك الحسي أولاً، وهذا هو التفسير التجريبي لقانون عدم التناقض (إبراهيم، ٢٠٠٠، ٢٨٩).

٢-٦ حدود المعرفة:

حدد جون **لوك** حدوداً للمعرفة الإنسانية لا يستطيع الإنسان أن يتعداها إلى أبعد منها، وهذه الحدود هي:

- لا يمكن أن تمتد معرفتنا أبعد من أفكارنا.
- لا يمكن أن تتجاوز معرفتنا ما نستطيع إدراكه من توافق أو عدم توافق بين الأفكار بواسطة الحدس أو الاستدلال أو الإحساس.
- لا نستطيع أن نحصل على معرفة حدسية تشم كل أفكارنا، وكل ما نرغب في معرفته عنها، ذلك لأنّنا لا نستطيع أن نتقصّى وندرك كل العلاقات الكائنة بين الواحدة منها والأخرى بواسطة وضعها جنباً إلى جنب أو مقارنتها.

- يلزم مما تقدم أن المعرفة البرهانية أو العقلية لا يمكن أن تتناول كل أفكارنا، لأننا لا نستطيع دائماً أن نجد فكرة وسيطة تربط فكرتين في برهان، وفي هذه الحالة لا نحصل على المعرفة ولا على البرهان.
- ولما كانت المعرفة الحسية لا تمتد أبعد من وجود الأشياء الماثلة أمام حواسنا بالفعل فإنها أضيق من كل من النّوعين المتقدمين من المعرفة.

يتضح لنا مما سبق أن نظرية المعرفة لدى **لوك** قد استغرقت حيزاً كبيراً من نسقه الفلسفي فقد شغل بالبحث في أصل المعرفة الإنسانية طبيعتها ووسائلها ويقينها ومداها، وتحديد أسس الاعتقاد والرأي والاتفاق والاختلاف ودرجاتها.

وكان **لوك** أول من طبق الاتجاه التجريبي في العصر الحديث والمنهج العلمي في الفلسفة، وكان تحديده لأنواع المعرفة بأربعة، هي الإدراك الحدسي الّذي يؤدي إلى المعرفة بالوجود الذّاتي والإدراك الحسي الّذي يقود إلى المعرفة بوجود الأشياء الجزئية، والإدراك الاعتقادي الديني الّذي يؤدي بنا إلى المعرفة بوجود الله تعالى، وهذا المنهج هو عكس المنهج الّذي كان سائداً من قبل.

وتوصل كذلك إلى قصور عقل الإنسان عن معرفة أي شيء يدور حول حقائق العالم المادي واللامادي، بل لا يستطيع أن يعرف شيء عن أفكاره والعلاقات التي تقوم بينها، ومن ثم يمهد **لوك** لبحث حدود المعرفة الإنسانية عند بركلي وهيوم وكنط. (إبراهيم، ٢٠٠٠، ٢٧٨ – ٢٨٠).

٣- النزعة التجريبية في فلسفة جون لوك:

يُصنّف "لوك" بين فلاسفة التّجريبيّة الّتي تشتهر بتأكيدها على دور الحواس في الوصول للمعرفة، والرّفض القاطع للقول بوجود أفكار فطريّة تولد مع الإنسان، –كما يدّعي فلاسفة المذهب العقلي – ومن هذا المنطلق، ومع الإصرار على أولويّة الحواس في الوصول إلى المعرفة، لم يعطِ "لوك" أي أهميّة للتّفسيرات الميتافيزيقيّة ولم يكن لفلسفته أي جانب ميتافيزيقيّ يطرح إجابة عن التّساؤلات المعروفة حول الوجود والعالم والإنسان، رافضاً أفكار المثاليّة العقليّة وأفكار الفلاسفة المدرسيّين. لكنّه على الرّغم من ذلك لم يكن ملحداً بل حاول ربط الأفكار الدّينيّة وخاصّة ما يتعلّق منها بالله، والرّوح والأجسام بالمنطق والبراهين الوضعيّة، في محاولة

يستقيم من خلالها الفكر الدّيني مع المنطق والعقل، بعيداً عن الأفكار الدوغمائيّة الّتي سادت بقوّة في العصور الوسطى.

وفيما يلي نبرز أهم المحاور التي بينت النزعة التجريبية في فكر جون **لوك:**

٣-١ البرنامج والمنهج:

لم يعتمد لوك على المعرفة الميتافيزيقية كما فعل العقلانيون، فلم يبد له أن هناك حاجة تدعو إلى الحصول على قدر من اليقين يمكن مقارنته بما يهتدي إليه في عالم الرياضيات، وبهذا فهو يضفي البحث على أسس العلوم لإقصائها عن عال الإيمان حتى تصبح جديرة باسم المعرفة. ولم يشارك سبينوزا Spinozaفي الشعور بأن السعادة الباقية بالاستطاعة الحصول عليها إذا عرفت الحقائق الأبدية الدائمة أي من المعرفة الميتافيزقية وحدها. وفيما يتعلق بهذه المعرفة الميتافيزيقية فإن لوك لم يشعر بأي حاجة لهذه المعرفة، وتعلم منذ حداثته قمعها.

وكان لوك قد قطع صلته بطريقة حاسمة عن برنامج المذهب العقلاني. ورفض استنادهم إلى الرياضيات كنموذج لإنشاء الحجج الفلسفية وأيضاً كمعيار للمعرفة يقبل التطبيق بوجه عام.

وقد تأثر بالعلو الفيزيائية حديثة العهد في تيار التقدم واعتقد أن لهذه العلوم معاييرها للحقيقة وأنها ليست معرضة لخطر التدهور والتحول إلى مجرد إيمان. فلا أحد ينكر أن علم الهندسة يناسب على خير وجه اكتشاف خصائص الأشكال الهندسية ولكن علماء الفيزياء هم الّذين يكتشفون العالم بلا توقف. واستخلص من ذلك أنه إذ صح أن معرفة العالم هي ما نسعى إليه فإن ن الأفضل لنا أن نحاكي علماء الفيزياء وما يفعلونه عندما يركزون على المعطيات الفيزيائية بجعلها نقطة بدء لأبحثهم ومعيار للصحة بدلاً من محاجاة علماء الهندسة عندما يتخذون التعارف والبديهيات اللاتجريبية كنقطة بدء لهم ويتجاهلون المعطيات التجريبية.

(شاخت،١٩٩٧، ١٢٥) ويشير لوك إلى أن نوع البحث الّذي أجراه في كتاب "المقال" قد هدف إلى تحقيق المتعة والنفع معاً. فاتصافه بالمتعة والنفع معاً. فاتصافه بالمتعة إنما يرجع إلى أنه يساعد على الاهتداء إلى المعرفة حتى إذا لم تزد عن إدراكنا لمدى قوانا العرفانية لأن الاهتداء إلى المعرفة أياً كان نوعها ممتع في ذاته. ويقول: "لما كان الفهم هو أسمى ملكة في النفس.

فإنه يحقق بهجة عند استعماله تدوم أكثر من أية بهجة تأتي عن طريق أية ملكة أخرى". أما النفع الّذي يترتب على البحث فيرد إلى حد كبير إلى الخلاص ما يعتبره خواطر تافهة فارغة في المسائل الخارجة عن نطاق إدراكنا. والمنهج الّذي رأى **لوك** اتباعه لتحديد طبيعة المعرفة البشرية ومداها وحدودها هو البحث عن أصل هذه المعرفة التي يلاحظها الإنسان ويعي وجودها في عقله والحصول على الوسائل التي تساعد على تزويد الفهم بها. (عباس، ٢٠٠٣ ،٥٣)

٣-٢نظرية لوك في الجوهر:

قبل الدخول في نظرية **لوك** في الجوهر لا بدّ لنا من إلقاء الضّوء على مفهوم الجوهر كما ورد في بعض المعاجم الفلسفيّة ولدى بعض الفلاسفة:

عرّف معجم "صليبا" الجوهر بوصفه مفهوما يطلق على معانٍ منها الموجود القائم بنفسه حادثاً كان أو قديماً (صليبا، ١٩٨٢، ٤٢٤)

أما في "معجم المصطلحات والشّواهد الفلسفيّة" من تأليف "جلال الدّين سعيد" فالجوهر هو الثّابت في الأشياء المتغيّرة (باعتبار أنّ هذا الثّابت) يبقى هو، هو رغم ما قد يطرأ عليه من تغييرات. ويبقى الأساس المشترك، الكيفيّات المتتالية الّتي يظهر عليها. ويقول "ابن سينا" في "رسالة الحدود": يقال جوهر لكلّ ذات وجوده ليس في موضوع، وعليه اصطلح الفلاسفة القدماء منذ عهود أرسطو بمعنى أنّ الجوهر هو الموجود لا في موضوع ويقابله "العرض" أي الموجود في موضوع. وعند "سبينوزا" الجوهر هو القائم بذاته المدرك لذاته بمعنى أنّ وجود الجوهر لا يحتاج إلى قيامه بغيره كما أنّ تصوّره لا يحتاج إلى حمله على غيره (سعيد، ٢٠٠٤، ١٣٨ – ١٣٩). ويقول "ديكارت" عندما نتصوّر الجوهر، نتصوّر موجوداً غير محتاج في وجوده لشيء آخر غير نفسه، وليس هناك في حقيقة الأمر جوهر له مثل هذه الصّفة إلّا الله (صليبا، ١٩٨٢، ٤٢٤).

من خلال التّعريفات يمكننا أن نلاحظ أنّ مفهوم الجوهر على اختلاف تفسيراته يُفهم من خلاله أنّه يدل على كُنه الشّيء وماهيّته الأساسيّة الّتي تحتمل وجود صفات معيّنة يتّصف بها.

وبالعودة إلى "لوك" نراه يشير لمفهوم الجوهر بصفته شيئاً مفرداً يقوم بذاته ويتّصف بأحوال وهو نتاج الرّبط بين عدّة أحوال، مثل الرّبط بين البياض والصّلابة والبرودة للوصول إلى فكرة "الثّلج"، والرّبط بين الحيوانيّة والنّطق والتّعقّل للوصول إلى فكرة الإنسان.

فالجوهر بالنّسبة إلى "لوك" فكرة مركّبة من حيث أنّها تتركّب من أفكار بسيطة، وهي عنده مجرّد افتراض وليس لها أي وجود حقيقي من ذاتها فنحن لا ندرك إلّا الأحوال والصّفات والكيفيّات وعندما نلاحظ أنّ عدداً من الصّفات يجب أن يكون لها حامل تحمل عليه أو قوام تقوم به. فقطعة الثّلج مثلا تتّصف بالصّلابة والبياض والبرودة وهي ملازمة لها، لكنّنا لا ندرك في الحقيقة شيئاً اسمه "جوهر الثّلج". وبذلك ردّ "لوك" الجوهر إلى صفاته المدركة المحسوسة، كما ذهب إلى أنّ فكرة الجوهر تأتي للذّهن من كثرة ربطه بين عدّة صفات بشيء ما، فالجوهر ما هو إلّا عادة فكريّة فالذّهن يعتاد على تسمية صفات معيّنة باسم كلّي يجمع بينهـا.

(Aldrich ١٩٩٩, ٨)

ورغم الخلاف الشّديد حول قضيّة الجوهر، اعتقد "لوك" أنّه واجد الحل لهذه المسألة ببيانه أنّ الجوهر فكرة بسيطة كاذبة والحق أن فكر **لوك** ليس ممّا يسهل النّفاذ إليه، وبساطته ظاهريّة ليس إلّا. فالجوهر هو ائتلاف لعدّة صفات تظهرها لنا التّجربة ونطلق عليها اسماً واحداً وقد اعترض "لوك" على من اتّهمه بأنّه يأخذ الأفكار البسيطة مأخذ العناصر الواقعيّة للأشياء، وبالفعل، إنّه ليمتنع على الذّهن أن يتصوّر هذه الأفكار البسيطة متقوّمة بذاتها بدون جوهر تكون مباطنة له، فلئن أطلقنا على ائتلاف صفات "البرودة والصّلابة والبياض" اسم "الثّلج" فما ذلك إلّا لاعتقادنا أنّها تعود لشيء واحد وأنّها مترابطة فعليّاً بعرى اتّحاد يؤلّف كلّاً ، فمن المحقّق أنّ ثمّة بنية باطنيّة للثّلج وماهيّة واقعيّة إذا عُرفت كان فيها تفسير ترابط خاصيّاته ، هكذا يكون وجود الجوهر قد أوجب بقوّة ما دمنا نسلّم بفكرة بسيطة ما ، أو بكيفيّة محسوسة ما ، فليس لنا أن ننفي الجوهر لكن القوة التي أوجب بها لا ينتقص منها أنّه ليس لنا عن هذا الجوهر فكرة . (برهييه، ترجمة طرابيشي، ١٩٩٣، ٣٢٩).

وقد قسّم **لوك** الجوهر لثلاثة أنواع:

٢-١-١ جوهر النّفس:

يرى "لوك" أنّ وجود الأنا – النفس ليس سوى مجموع أفكار بسيطة تدرك بالفكر، وليس هذا الفكر سوى الأنا المدرك لأفعاله، والّذي لا يمكن الشّك في وجوده كما أنّه لا يتطلّب التّدليل على صحّة وجوده إذ أنّ وجوده موضوع حدس باطن ولا يمكن أن يكون حدس الأنا عند "لوك" مشابهاً للحدس "الدّيكارتي" لها إذ أنّ الجوهر النّفسي عند "ديكارت" يبدو جليّاً واضحاً في صورة جوهريّة متماسكة من خلال عمليّة الفكر لكنّ "لوك" لا يستطيع الذّهاب إلى أبعد من تكوين الأنا من مجموعة أفكار ذات حامل غامض نجهل طبيعته تماماً ، فالحدس الباطن إذاً عند "لوك" لا ينصب على طبيعة الجوهر النّفسي كما هو الحال عند "ديكارت" لكنّه ينصب على مجموعة أفكاره فوجود النّفس إذاً يرجع للشّعور الذّاتي بالأنا الّذي يتذكّر الآن فعلاً ماضياً، أي أنّ الوعي الذّاتي المنبثق من الذّاكرة هو سند وجود الأنا ومفتاح ذاتيّة الأشخاص، ولمّا كانت أفكار النّفس تعد حصيلة العقل الباطن، أو التّجربة الدّاخلية ، لهذا فإنّها تعد أفكاراً من الدّرجة الثّانية بالنّسبة لأفكارنا عن الموضوعات الخارجيّة.(أبو ريّان ، ١٩٩٦، ١٧٣).

٢-١-٢ الجوهر الإلهي:

الله موجود عند "لوك" لكن ماهيته مجهولة، لا يستطيع عقلنا أن يعيها. ولسنا نؤمن بوجود الله بناءً على معنى غريزي بل بناءً على برهان.

إنّ المعنى الغريزي معدوم عند الّذين يقولون إنّهم ملحدون، وعند بعض القبائل المتوحّشة، وهو إن وجد عند العامّة فهو مشبع بالتّشبيه ولا يطابق حقيقة الله.

أما البرهان على وجود الله فهو إنّ الموجود الحادث وهو "أنا" يستلزم موجوداً سرمديّاً كلّي القدرة وعاملاً أيضاً من حيث أنّه خلق في العقل وخالق المادّة من حيث أنّه خلق نفسي وإنّ خلق المادّة أيسر من خلق النّفس، وهذا البرهان على وجود الله وعلى ماهيّته في آن دون الحاجة لوجود معنى غريزي (كرم، ١٩٨٦، ١٧١).

والله عند **لوك** جوهر لا متناهٍ، والبرهان الّذي قدّمه على وجود الله أقرب إلى دليل الواجب والممكن عند المسلمين، والّذي يستند إلى ضرورة التّسليم بوجود الأزلي القديم

استناداً إلى وجود الحادث المخلوق كمعلول له، وهو يرى أنّ الموجود والحادث هو الجوهر والنفسي يتطلّب موجوداً قديماً. (أبو ريّان، ١٩٩٦، ١٧٢).

٢-١-٣ الأجسام:

يستند "لوك" في تبريره لوجود الأجسام إلى أنّنا نعلم بوجودها في الواقع، وإن لم يكن عملنا بها يرقى إلى مرتبة عملنا بنفوسنا وبالله والأدلّة على وجودها كثيرة، فالذّهن لا يستطيع أن يؤلّف صورها من تلقاء نفسه وكل فاقد لحاسة تتعطل لديه الأفكار المتعلّقة بها وكذلك فإننا نستطيع التّمييز بين الأفكار الّتي ترد إلينا عن طريق الحس. وهي تشير إلى أجسام خارجيّة تعرض علينا التّأثّر بها. وتلك الّتي تأتي بإرادتنا عن طريق الذّاكرة وأخيراً فإن الحواس يؤيد بعضها بعضاً وتنتهي كلها إلى إثبات وجود الأجسام في الخارج، فإذا تشكّك البصر في وجود النّار بعد أن رآها فإنّ اللمس يدعم انطباع البصر بلمسه اللّهب. وهكذا في جميع المحسوسات.

ويعود "لوك" فيؤكّد أنّ الأفكار الّتي لدينا عن الأجسام ليست مطابقةً لها، بل هي علامات تشير إليها فحسب، وذلك مثل دلالة الألفاظ على المعاني القائمة في النّفس رغم أنّ هذه الألفاظ لا تشبه المعاني فجواهر الأجسام مجهولة لنا لكنّها حاصلة على كيفيّة وهذه الكيفيّات على نوعين:

أوّلية: وهي الامتداد والشّكل والصّلابة والحركة، وهي وإن كانت لا تمثّل الأشياء حقّ التّمثيل، إلّا أنّها كيفيّات موضوعيّة وملازمة للأشياء دائماً.

ثانويّة: مثل اللّون والصّوت والطعم والرّائحة والحرارة والبرودة، فهي ليست موجودة في الأجسام نفسها وإنّما هي انفعالات تنجم عن تأثير الكيفيّات الأوليّة في حواسنا، ومع هذا فإنّ الجسم يدبو خلال تجربتنا في صور كيفيّات مترابطة. (أبو ريّان، ١٩٩٦، ١٧٥-١٧٦).

إذاً، نلاحظ من خلال هذه المعطيات انسحاب السّمة الحسيّة على أفكار "لوك" في الوجود والجوهر، فلا وجود للجوهر بالنسبة له، بل هناك وجود لصفاته الّتي ندركها في حواسنا، ويمكن أن نلاحظ من خلال ما طرحه "لوك" وقوف فلسفته بمكان ربما متوسط بين الماديّة الإلحاديّة والمثاليّة العقلية الّتي سادت في أوروبا خلال حياته، فهو

لم ينكر وجود الله، بل أقام برهاناً استدلاليّاً على وجوده، وفي نفس الوقت أعطى الحواس الدّور الأساس وربّما الأوحد في الوصول للمعرفة اليقينيّة بالموجودات بما هي عليه.

٣-٣ الوجود والمعرفة: "معيار الحقيقة المطابقة بين الفكر والوجود":

لقد أشار **لوك** إلى أن العقل لا يدرك أي شيء إلا بوساطة أفكار، أي أن لدى العقل أفكاراً عن الموجودات الخارجية، فكيف يتسنى له أن يعرف أن أفكاره هذه مطابقة للأشياء الخارجية؟ ما الّذي يسمح له بان يؤكد أن أفكاره عن الأشياء الخارجية تنطبق على هذه الأشياء؟ بل كيف نعلم على وجه العموم – أن هناك أشياء موجودة في الخارج؟ أو بمعنى أدق ما هو معيار الحقيقة؟ وما سندها؟ وإذا كان **لوك** يضع الحقيقة في صحة لزوم العلاقات بين الأفكار بالاستدلال، فإنه مع هذا يبقى العقل منطوياً على أفكاره لا يستطيع الخروج من دائرتها إلى العالم الخارجي. لقد اكتفى **لوك** بالقول بأن الحقيقة هي في المطابقة بين الأفكار والأشياء الخارجية ولكن هذا هو الّذي يجب إيضاحه بالذّات، وتقديم الدليل عليه (أبو ريان، ١٩٩٦، ١٧١). وفي هذا السّياق يقول **لوك** في كتابه **مقال في الفهم الإنساني:**" كلنا متفقون على النظر إلى أفكارنا وانفعالاتنا والصور التي تكونها مخيلتنا باعتبار أن وجودها غير مستقل عن عقولنا. وليس بأقل وضوحاً من هذا – فيما يبدو – قولنا إن إحساساتنا المختلفة أو الصور المطبوعة على حواسنا لا يمكن أن توجد إلا بالقياس على عقل يدركها. وأعتقد أن بوسع أي شخص أن يقف على هذه الحقيقة عن طريق حدسه. إذ أمعن النظر فيما نقصده بكلمة **الوجود** عند استخدامها بالنسبة إلى الأشياء المحسوسة. فأنا أقول عن هذه المنضدة التي أكتب عليها أنها موجودة وأقصد بذلك أنني أراها وأحس بها وإذا ما غادرت حجرة مكتبي فسأقول عنها إنها كانت موجودة وأقصد بذلك أنني لو لم أكن قد غادرت الحجرة لكنت أدركتها، أو أن عقلاً آخر يقوم بإدراكها الآن"(Locke , ١٩٩٣ , ١٦٤)

٤- فلسفة لوك السياسية:

سيبدو واضحاً لمن يقرأ تاريخ انكلترا في المرحلة الانتقالية بين العصور الوسطى والتّنوير أن فلسفة **لوك** السياسية كانت مرحلة مفصلية نحو تغيير النظام الملكي الاستبدادي في انكلترا وإصلاحه لجهة انتقاله لشكل أرقى سمي فيما بعد النظام الملكي الدستوري الّذي تحدّ فيه صلاحيات الملك

وتعطى الحكومة المنتخبة من الشعب نفوذاً أكبر. "فقد ذكر **لوك** أن كتاباته السياسية كانت موجهة بصفة أساسية نحو التبرير النظري للنظريات السياسية لهؤلاء الّذين أعلنوا الثورة على الحكومة الاستبدادية لعائلة ستيوارت The Stuarts، لكي يحل محلها حكومة ملكية monarchy ذات نفوذ محدود وليس مطلقاً كما كان سائدا في ذلك الوقت. لذلك كتب **لوك** مقالتين في الحكومة "Tow Treatises of government"، دحض فيها دحضاً تاما وجهة النظر التي حازت على ذلك الاهتمام الواسع (إبراهيم، ٢٠٠٠، ٢٨١) حيث خصص المقالة الأولى للرد على روبيرت فليمر Sir Robert Flimmer الّذي وردت وجهة نظر عائلة ستيوارت على لسانه، بينما كانت المقالة الثّانية للبحث في نشأة الحكم المدني الصحيح ومداه وغايته.

ويمكننا الوقوف بشكل عام في فلسفة (لوك) السياسية على المحاور التّالية:

٤-١ نقد مبدأ الوراثة:

استهل (لوك) مقالته لأولى كما ذكرنا للرد على كتاب الأبوة Patrircha (فليمر) الّذي كان من داعمي الحكم الاستبدادي المطلق لأسرة ستيوارت وكان قد ضمّن هذا الكتاب مجموعة من الأدلة التي برر فيها صلاحية الحكم المطلق وتلخّصت في النّقاط التّالية:

أ- للملك الحق في حكم رعاياه حكماً مطلقاً استبداديّاً طبقاً لمبدأ الحق المقدس للملوك، لذلك يجب طاعته، لأنه مفوض من قبل الله لحكمهم والطاعة له واجبة.

ب- للملك لحقق في وضع القوانين التي تتراءى له، والّتي يسير الشعب بمقتضاها دون معارضة، لأنه من المستحيل أن يضع الشعب بنفسه قانوناً يقيد به حريته.

ت-إن الدولة التي يحكمها الملك ليست سوى امتداد طبيعي للأسرة الحاكمة التي يفوضها الإله لتولي الحكم، لذلك يجب أن يخضع الشعب خضوع أبناء الأسرة لحاكمها الأكبر (إبراهيم، ٢٠٠٠، ٢٨٢).

وينطلق فريمر في آرائه هذه من حق آدم بالسيادة على أبنائه عن طريق خلق الله له، وحقه بالسيادة القائم على خضوع حواء له وبحكم الأبوة حيث تصبح الملكيّات ميراثاً متحدّراً من آدم فيكون الملك وريثاً لسلطة آدم الملكية. (Goenaga, ٢٠٠٨, ٣٥)

ورد (لوك) على ذلك بمجموعة من المبادئ الّتي دحض فيها ادّعاءات فليمر وتلخّصت فيما يلي:

١–لم يكن لآدم أي سلطان على أبنائه، سواء عن طريق الحق الطبيعي الممنوح للآباء، أو المنحة الإلهية. وبالتالي فهو لا يملك السيطرة على العالم، وهذا يخالف ما يبدو في الواقع.
٢–وحتى إذا كان يملك مثل هذا السلطان، فلم يكن لأبنائه الحق في التّمتع به.
٣–وحتى إذا كان لورثته هذا الحق، فإن تقرير من يجب أن يتمتّع بحق التوارث وبالتّالي بالسلطة كان غير ممكن، نظراً لعدم وجود قانون طبيعي أو إلهي يقرر هذا الحق.
٤–وحتى إذا أمكن تقرير هذه المسألة، فإن حدود سلطة الأب الشرعية لآدم، قد ضاعت معالمها خلال الأجيال البشرية لتي تعاقبت فيها أسر عديدة لدرجة لا يمكن لإحداها أن تدعي لنفسها الحق في الميراث.

وأعتقد أن هذه المقدّمات المنطقية توضح لنا أنّه يستحيل على حكام الأرض اليوم أن يجنوا أي كسب أو ظل للسلطة الّتي تعتبر أساساً لكل السلطات وهي سلطته الخاصة وسلطته على أبنائه (لوك، ١٩٥٩، ١٠).

نلاحظ فيما ذكره (لوك) سهولة دحض آراء فليمر الّتي استند إليها لتبرير السّلطة الملكيّة المطلقة وهو يؤكد على عدم عدالة حق البكر في الإرث دون سائر الأبناء، وهو ما لا مفر منه لو كانت الوراثة قاعدة للملكية. وهو يندد بالتناقض القائم في افتراض كون الملوك الحاليين ورثة آدم فلا يستطيع آدم أن يكون له إلا وريث واحد، ولكن لا أحد يعلم من هو. ومن هنا فإن **لوك** يؤكّد على حالة الطبيعة التي ولد عليها الإنسان والتي تناقض السلطة الأبوية لآدم الّتي يؤكد عليها فليمر فكيف يرى **لوك** حال الإنسان في الطبيعة؟

٤–٢ حالة الطبيعة والقانون الطبيعي عند (لوك):

يشير (لوك) إلى أن الناس قديماً كانوا يعيشون في حالة الفطرة أحراراً متساويين وكان القانون الطبيعي هو الّذي يحكم سلوكهم وينظّم علاقاتهم الطّبيعية، ومعنى هذا أنّ الإنسان يولد حرّاً فكيف يُستعبد وتقيّد حريّته في ظل نظام حكم مطلق؟ إنّ أي قيد على حريّة الإنسان لا يمكن أن يتم إلّا بموافقة الإنسان نفسه، ففي تكوين المجتمعات السّياسيّة ستتحقّق حريّة الأفراد في حدود السّلطة التّشريعيّة الّتي يقيمها النّاس باختيارهم (أبو ريّان، ١٩٩٦، ١٧٧) وتجدر الإشارة إلى أن فكرة **لوك** عن حالة الطّبيعة للإنسان مرتبطة بأصل لاهوتي فقانون الطبيعة لديه يتألّف

من أوامر إلهية، ولا يفرضه مشروع إنساني. وهذه الأوامر الإلهية مرتبطة بالعقل الّذي يفرض على الإنسان طرقاً للتّعامل مع المحيط بكل ما فيه لذا فإنّ أقرب تعريف لحالة الطّبيعة نجده عند (لوك) هو ما يلي:

"يعيش النّاس معاً وفق العقل، دون سيّد أعلى على الأرض، ومع سلطة تقضي بينهم، هذه على الحقيقة هي حالة الطّبيعة". وهذا وصف لجماعة متخيّلة من فوضويين فضلاء، لا يحتاجون إلى شرطة ولا إلى محاكم تطبّق القانون، ذلك لأنّهم يطيعون دائماً العقل، الّذي هو مماثل للقانون الطّبيعي، الّذي بدوره يتألّف من تلك القوانين الخاصّة بالسّلوك الّذي يسلّم بأنّها من أصل إلهي (رسل، ١٩٧٧، ١٩٧–١٩٩). وفي سياق المقارنة بين الفلاسفة الّذين بحثوا في حالة الطّبيعة عند الإنسان نجد أن (لوك) بربطه بين الأوامر الإلهية وعقل الإنسان وطبيعته، قد تميّز عن كل من (هوبز) و (روسو) إذ ربط الأول حالة الطّبيعة بالحرب وسعي الإنسان للبقاء حيث تنشب حرب يخوضها الجميع ضدّ الجميع وتكون منافية لبقاء المجموع والفرد على حدٍّ سواء أي أن الطّبيعة هي غريزة البقاء المسترشدة بالعقل (برهييه، ١٩٩٣، ١٨٢). بينما أكد (روسو) على أنّ حالة الطّبيعة عند الإنسان تقتصر على ما يمتلكه من غرائز مع قدرة على التّطور والرّقي (المجيدل وآخرون،٢٠٠٧، ١٥٠) وقد كانت هذه الحالة هي الأرضية الّتي مهدت للتفاوت بين البشر فيما بعد. وسنلاحظ كيف أنّ اختلاف (لوك) عن أقرانه من الفلاسفة في النّظرة لحالة الطّبيعة قد أثّر بشكل كامل على رؤيته لطبيعة النّظام السّياسي الحاكم للمجتمع.

٤–٣ العبودية والحرية الطبيعية:

يقول (لوك) في بداية كتابه عن الحكم المدني: "إن العبودية وضع شائن من أوضاع الإنسان لا يتفق قط مع طبع أمتنا السمح وبسالتها المشهورة، بحيث يصعب تصور (إنكليزي) ناهيك بـ (شهم) إنكليزي ينهض للدفاع عنها"(لوك، ١٩٥٩، ٥) من هنا نلاحظ أن (لوك) يربط مباشرة بين حرية الفرد وعظمة الأمة الانكليزية، ولهذا فقد انطلق من حالة الطّبيعة ليؤكّد على حريّة الإنسان حيث أن الناس كانوا في حالة الطّبيعة أحراراً متساوين وهم ولدوا أحراراً فكيف يتم استعبادهم في حكم مطلق ؟! ويذكر (لوك) أن تقارير الرّحالة الّذين اطّلعوا على أحوال الشّعوب البدائيّة أثبتت أن العلاقات الطّبيعية عندهم تقيم مجتمعاً طبيعيّاً تسود فيه المساواة ولا سيادة فيه لشخصٍ على آخر. وحتّى سلطة الأب على ابنه –التي اعتمد عليها (فليمر) انطلاقاً من

سلطة آدم على البشر ليبرر نظام الحكم المطلق–حتى هذه السلطة هي سلطة مؤقّتة وأقرب إلى الواجب منها إلى السّلطة، وهي لا تشبه سلطة السّيد على العبد بل سلطة من شأنها أن تجعل من الابن كائناً حرّاً. (أبو ريان، ١٩٩٦، ١٧٨). وأما الحرية الشخصية فمعناها أن ليس هناك سيادة طبيعية لأحد على آخر. وسلطة الأب أعطيت له لكي يربي الابن ويجعل منه إنساناً أي كائناً حراً، فهي واجب طبيعي أكثر منها سلطة وهي مؤقتة ولا تشبه في شيء سلطة السيد على العبد (كرم،١٥١،١٩٩٦) ومن الحرية الطبيعية ينتقل "لوك" إلى حق الملكية الّذي ينشأ عن تلك الحرية.

٤–٤ الملكية:

يقول لوك في مقدمة الفصل الخاص بالملكية في مقالته عن الحكم المدني: "الأرض وكل ما عليها من المخلوقات الدنيا ملك مشترك بين البشر، إلا أن لكل امرئ حق امتلاك شخصي وهو حق لا ينازعه فيه منازع، كذلك نتاج كدحه وعمل يديه يمكن إسنادهما إليه وحده. وكل ما ينتزعه من الحال الّتي أوجدته الطّبيعة وتركته عليها فقد اختلط به جهده وانضاف إليه شيء من ذاته فهو إذن ملك له."(لوك، ١٩٥٩، ١٥٣). وبهذا الكلام فقد أقر **لوك** بحق الملكية للإنسان وربطه بمقدار الجهد الّذي يبذله في سبيل الحصول على ما يملك. ومن هنا يرى "لوك" أن حق الملكية حق طبيعي يقوم على العمل ومقدار العمل، لا على الحيازة أو القانون الوضعي، وليس لأحد حق فيما يكسبه المرء بتعبه ومارته، ولا تصير الحيازة حقّاً إلا إذا استلزمت العمل. على أن حق الملكية خاضع لشرطين: الأول أن المالك لا يدع ملكيته تتلف أو تهلك، والثاني أن يدع للآخرين ما يكفيهم فإن هذا حق لهم. فحرية العمل هي المبدأ الّذي يسوغ الملكية والمبدأ الّذي يحدها، إذ يجب أن تبقى حرية العمل مكفولة دائماً للجميع (كرم، ١٥١،١٩٩٦).

وقد ارتبط مبدأ الملكية بالعمل الزراعي والعمل الصناعي، ففيما يختص بالإنتاج الزراعي كان من المسلم به عند المدرسة التي ينتمي إليها "لوك" ان ملكية الفلاح هي أفضل نظام، فهو ينص على أن للإنسان أن يملك من الأرض بقدر ما يستطيع أن يفلح وليس أكثر من ذلك، وفيما يتعلق بالصناعة فالإنتاج الحضري كان بصفة رئيسة إنتاج الحرفيين الّذين كانوا يملكون أدواتهم ويبيعون ما ينتجون (رسل،١٩٧٩، ٢١٣). وبعد أن عرض **لوك** أفكاره في الحرية والملكية وضّح الطّريقة الّتي تنتظم فيها ممارسة الأفراد لحرّيتهم والحصول على حقوقهم في

المجتمع من خلال وثيقة أو اتّفاق بين الحكومة والشّعب أطلق عليها اسم الاتّفاق الاجتماعي أو العقد الاجتماعي.

٤–٥ العقد الاجتماعي:

رأى **لوك** بأن الحكومة المدنية تنشأ نتيجة عقد، وهذا العقد شأن خالص من شؤون العالم الدّنيوي، ولا علاقة للسّلطة الإلهية به. والمجتمع السياسي يبتدئ بموافقة الأفراد على الانضمام بعضهم إلى بعض وإنشائهم لمجتمع واحد وسلطة الحكومة القائمة على العقد لا تتخطى البتّة الخير العام (رسل ،١٩٧٧ ، ٢٠٥ – ٢٠٩) فبعد الاضطراب الدائم الّذي يطرأ على المجتمع في حالة الفطرة الأولى تظهر الحاجة الملحة إلى حماية الحرية وتنظيمها، وبصفة خاصة إلى ضمان الحرية الشخصية للأفراد وحماية ملكيتهم الخاصة وإقامة العدل بينهم ومعاقبة المعتدين على حقوق الغير، ولهذا فقد انضم الأفراد إلى بعضهم البعض وتنازلوا بإرادتهم وبرضائهم عن بعض حقوقهم كحق الردع والاقتصاص وأصبح المجتمع لسياسي أو الدولة هي التي تنوب عن الأفراد في القيام بهذه الوظائف، وهذه اول صور التعاقد الاجتماعي في المجتمعات السياسية والمدنية حيث أن طرفا التعاقد هما الشعب والحكومة وإذا أخل أي طرف بهذا التعاقد فإنه يصبح لاغياً وفي هذا السياق يقول **لوك:** "تكتسب الدولة سلطة وضع العقوبات التي ينبغي أن تلحق بشتى المخالفات التي يرتكبها أبناء المجتمع فيما بينهم وهي سلطة وضع الشرائع وسلطة معاقبة الإجرام التي يقترفها عضو خارج عنها أيضاً والغرض من ذلك كله المحافظة على ملكية أبناء ذلك المجتمع ما أمكن الأمر" (لوك ، ١٩٥٩ ، ١٨٨). وقد خالف **لوك** في ذلك هوبز الّذي يرى أن الشعب يفوض الملك في مباشرة حقوقه والواقع أن تفويض الشعب إنما يكون لمؤسّساته الدّستورية المتمثّلة في السلطة التشريعية فالشّعب مصدر جميع السّلطات. ويرى **لوك** أن الحكومة المدنية الّتي تمثّل الإرادة الشّعبية يتعيّن أن تعمل على حماية الحقوق الطّبيعيّة للأفراد، فإذا ما عطلت الحكومة هذه الحقوق أو اعتدت عليها وجب إعلان الاحتجاج من جانب الشعب بالطرق السلمية، فإذا لم تتحقّق للشّعب مطالبه كان على كل فرد أن يحمل السّلاح وأن تقوم الثّورة لحماية حقوق الأفراد المشروعة وحرّياتهم العادلة (أبو ريّان، ١٩٩٦،١٧٩).

أما الأصول التي اعتمد عليها لوك عند قيام العقد الاجتماعي فكانت كما يلي:

- ضرورة قيام العقد على الحرية الكاملة للإنسان.

- ليس هناك إجبار على أداء الأفراد ما لا يحبون.
- يتنازل الفرد عن بعض الحقوق.
- يتم التنازل للمجتمع كله وليس لأفراد محددين.

أما الحكومة فلا بد لها أن تتبع المبادئ التالية:

- يجب أن يكون لقانون سليماً صحيحاً خالياً من التعسف.
- لا بد أن ينطبق القانون على جميع أفراد الدولة مهما كان شأنهم.
- ضرورة التزام السلطة بوظيفتها كمنظمة وليست كمالكة.
- لا تتنازل السلطة التشريعية عن أداء وظيفتها كذلك لا يحق لها فرض ضرائب دون موافقة الشعب. (إبراهيم، ٢٠٠٠، ٢٨٥)

٤-٦ أنواع السلطات:

نادى لوك بضرورة الفصل بين السلطات مما ينجم أن تقوم الحكومة المدنية بتقسيم السلطات إلى ثلاثة أنواع:

- السلطة التشريعية Legislative:

وتمنح لممثلي العشب الّذين يحصلون على هذا لحق بطريقي الانتخاب والوراثة.

- السلطة التنفيذية Executive:

ويتحدد عملها في تنفيذ القوانين التي يضعها الشعب عن طريق سلطته التشريعية وتتضمن القوانين الإدارية والقضائية.

- السلطة الفيديرالية: Federative:

وتعمل على تكملة السلطة التشريعية وتتكون من مندوبين عن المدن. (إبراهيم ،٢٠٠٠،٢٨٤-٢٨٥)

٥-فلسفة الدين عند جون لوك:

يرى البعض أن الفكر الفلسفي قد نشا وترعرع في حضن الدين، فقد كان الارتباط بين الدين والفلسفة ارتباطاً وثيقاً منذ القدم حيث كان التفكير الفلسفي ممتزجاً بالتفكير الديني، وقد قيل في هذا الصدد تلك العبارة المشهورة "إن الفلسفة بنت الدين وأم العلم" (زقزوق ،١٩٩٦، ١٧) ويرى آخرون أن

الدّين جاء نتيجة للفكر الفلسفي حين بدأ عقل الإنسان يسأل ويبحث عن حقائق الوجود والطبيعة وأصلها. والحقيقة أن الباحث في فلسفة **جون لوك** قد يشعر بغموض رأيه في هذه النّقطة ، فعلى الرّغم من أن **لوك** من فلاسفة الواقعية الحسية التّجريبية والتي تصنف كفلسفة مادية وعلى الرغم من أنه يؤمن بأن الحواس وسيلة المعرفة وأن المادة التي نعرفها بالحواس هي الأساس ، وعلى الرّغم من رفضه للأفكار الميتافيزيقيّة ، على الرّغم من ذلك كلّه فهو لم يكن ملحداً بل لم يخرج حتّى عن عقيدته المسيحية لكنّه حاول أن يفسر المبادئ الدّينية الكبرى بطريقة مختلفة عن أسلافه من الفلاسفة والمفكرين المسيحيين بحيث يبقى الفكر الديني ضمن إطار الإيمان ويبتعد عن الخرافة والاستبداد والأفكار الفطرية المسبقة، إضافة إلى ذلك أكد **لوك** على فكرة التّسامح بين البشر بمختلف الطوائف والأديان والملل وألف رسالة كاملة في هذا المجال وهي "**رسالة في التّسامح**" وفيما يلي أهم المبادئ التي قامت عليها فلسفة **لوك** الدينية :

٥-١ الألوهية:

تتدرج أفكار **لوك** عن الألوهية في إطار نظريته في الجوهر ويمكن توضيحها من خلال النقاط التالية:

- على الرغم من أن **لوك** تصور الله تعالى جوهراً روحياً لا متناهياً، إلا أنه رفض أن تكون معرفة الإنسان الّذي يجهل ماهيته معرفة فطرية، ومن ثم فهي معرفة تحتاج لبرهان عقلي، وفي نفس الوقت فإن العقل قاصر عن إدراك مثل هذه المعرفة.
- لا يستطيع الإنسان بحسب **لوك** أن يتأمل مجرد التأمل في معرفة الله كما هو كائن فعلاً، لكن يمكن تكوين فكرة عنه فحسب، وهذه الفكرة فكرة مركبة مثل جميع الأفكار المركبة. ونحن نتصور في الله جميع صفات الكمال والخير، وهي ليست صفات كالتي نتصورها فيما بيننا.
- إن الله تعالى إله لا متناهٍ خالد يكمن فيه الخير الكلي والقدرة الكلية، حكيم حكمة ليست كحكمتنا، ولا يمكن تصوره تصوراً عقلياً، لا نعرف عنه سوى قوة الحضور في حياتنا ذلك الحضور الّذي نستمد منه القوة والأمان.

- يدافع **لوك** عن معقولية النصرانية على أساس أن هذه المعقولية غريزية فالسيد المسيح – كما يدعي لوك–قد استرد خلود البشرية على أسس ثلاثة هي: الاعتقاد في السيد المسيح، والتوبة والعفو عن الآخرين. وهذه المبادئ جوهرية لتحقيق الخلاص. كما أن الاعتقاد في حقيقة ما ستؤدي عند دراسة الإنجيل إلى قبول حقائق أخرى (إبراهيم ،٢٠٠٠، ٢٩١–٢٩٤).

٥–٢ فلسفة التسامح عند جون لوك:

يثير مفهوم التسامح Toleration تداعيات مختلفة على النطاق الفكري أو على صعيد الواقع العملي. وإعلان مبادئ التسامح يعني في جملة ما يعنيه أن المجتمع البشري بحاجة إلى نشر وتأصيل قيم التسامح كمنظور إنساني وأخلاقي، لا يمكن تقدم المجتمع الدولي والإنساني وخروجه من غلوائه الحالية إلا بتعميم فكرة قبول الرأي الآخر، حتى وإن تناقض مع رأي (الجماعة) خصوصاً أنه حاجة ماسة وليس ترفاً فكرياً فنقيضه هو (اللاتسامح) أي التعصب والاستئثار ورفض الآخر (شعبان،٢٠١٣ ،١) وقد خصص **لوك** مؤلفاً كاملاً من مؤلفاته ليشرح فيه نظريته في التسامح حيث كانت أوروبا تعاني آنذاك من التعصب والصراع الطائفي والطبقي بسبب سيادة سلطة الكنيسة وتحكمها بمصير الشعوب وهذا ما عزم **لوك** على مواجهته بشكل مباشر في كتابه ولن نتأخر في ملاحظة ذلك حين قراءة ذلك الكتاب إذ يقول في مطلعه وبشكل مباشر :"سيدي الموقر ... حيث أنك تشعر بالغبطة لأنك تتساءل عن أفكاري الخاصة بالتسامح المتبادل بين المسيحيين المختلفين في مللهم ، فأنا من أجل ذلك أجيبك بلا تحفظ وهو أنني أنظر إلى التسامح على أنه العلامة المميزة للكنيسة الحقة. فالبعض يتباهى بقدم الأماكن والألقاب، أو بعظمة الطقوس، والبعض يزهو بصلاح إيمانه، بينما يفاخر الجميع بما يعتقدون أنه الإيمان الحق الّذي لا يشاركهم فيه أحد. هذه كلها وغيرها مما على شاكلتها إنما هي علامات على شهوة البشر في تسلط كل منهم على الآخر أكثر مما هي علامات على حب كنيسة الله."(لوك،١٩٩٩ ،١٩). والحقيقة أن كلمات **لوك** هذه تحمل الكثير من المعاني التي تسهم فيما إذا انتشرت بإرساء ثقافة المساواة بين البشر والعدالة ورفض التمييز بين البشر بسبب انتماءاتهم العرقية أو الدينية. وكانت آراء **لوك** مع غيره من فلسفة التنوير الأرضية الخصبة التي ساهمت فيما بعد بإبقاء حكم الشعب بالقانون بعيداً عن تسلط رجال الدين وفسادهم في ذلك الوقت، وقد دافع **لوك** عن هذا المبدأ –مبدأ التسامح–بالإشارة إلى أن كل

البشر يمتلكون الحق في الحرية الطبيعية، ولكنها حرية مشروطة بالأخلاق وبالقانون الطبيعي. ويعتبر **لوك** العقل قانون الطبيعة وليس هو الذي يعلمنا هذا القانون ولهذا فالقانون الطبيعي هو بالأصل عقلاني. أما الضوابط في السلطة السياسية على الحرية الطبيعية "أساس الحريات" فإن ثمة ثلاث مؤسسات ضرورية لامتلاك تلك الحقوق على الآخرين احترامها وهي: المؤسسات التي تحدد الحقوق "السلطة التشريعية" والمؤسسات لتي تفصل في النزاعات "السلطة القضائية" والمؤسسات التي تفرض العقوبات على خارقي الحقوق "السلطة التنفيذية" وهي الفكرة التي أصبحت متداولة بسم الفصل بين السلطات الثلاث. ويضاف إليها سلطة رابعة هي سلطة الصحافة كما هو متعارف على تسمية وسائل الاتصال الحديثة التي حولت العالم اليوم إلى قرية كونية وبخاصة في ظل العولمة (شعبان ،٢٠١٣، ٨). وقد أكد **لوك** على أن التسامح بين العقائد المختلفة يتطابق مع مبادئ السيد المسيح والّذي نشر أرقى قيم الإنسانية والمحبة بين البشر وأضاف لوك بأن هذه المبادئ تتطابق مع العقل حيث يقول: "إن التسامح بين أولئك الذي يعتقدون عقائد مختلفة في أمور الدين يتسق تماماً مع العهد الجديد الّذي أتى به السيد المسيح، كما يتمشى مع مقتضيات العقل الإنساني الحق، حتى إنه لأمر غريب عند الناس أن يكون المرء أعمى إلى الدرجة التي لا يرى فيها ضرورة التسامح ومزاياه في ضوء ساطع كهذا" (لوك ،١٩٩٨ ، ٢٣) ويرى **لوك** أن خلاص النفوس من شأن الله وحده، ثم إن الله لم يفوض أحداً في أن يفرض على أي إنسان ديناً معيناً، وأن قوة الدين الحق كامنة في اقتناع العقل، أي كامنة في باطن الإنسان. يقول :"إذا زعم أي إنسان أنه ينبغي استخدام السيف والنار لإجبار الناس على اعتناق عقائد معينة والانتماء إلى عبادات وطقوس معينة بغض النظر عن "الجانب الأخلاقي" وإذا حاول أي إنسان أن يحول الآخرين إلى عقيدته وأن يجبرهم على الاعتراف بما لا يؤمنون به بدعوى أن عقيدتهم كاذبة وأن طقوسهم لا يسمح بها العهد الجديد، إذ حدث ذلك فمن المؤكد أن مثل هذا الإنسان ينشد تجمعاً ضخماً يشاركه نفس العقيدة. ولكن أن يكون مقصده تأسيس كنيسة مسيحية حقيقية فهذا ما لا يصدقه عقل" (لوك ،١٩٩٨، ٢٢) وقد نادى لوك بضرورة فصل السلطة الدينية أو الكنيسة عن السلطة المدنية حيث يعتبر أن تنظيم شؤون المواطنين في الحرية والملكية والحياة هي من اختصاص الحاكم المدني ولا دخل للإيمان والدين فيها (إبراهيم ،٢٠٠٠، ٢٨٦). وأكد **لوك** على المساواة ضمن المجتمع المدني بغض النّظر عن الانتماءات الدّينية فجميع النّاس متساوون في الحقوق والواجبات ولا يحق لأي منهم أن ينتهك حقوق الآخرين مهما كانت عقائدهم وقناعاتهم الدينية وفي

هذا يقول **لوك:** "ليس من حق أي شخص بأي حال من الأحوال أن يحقد على شخص آخر في شأن متعه المدنية لا لسبب إلا لأنه ينتمي إلى كنيسة أخرى أو يؤمن بدين آخر. فكل الحقوق والامتيازات التي تخص هذا الشخص من حيث هو إنسان أو من حيث هو مواطن من اللازم أن تكون محفوظة له ودون أن تنتهك ذلك أن هذه الحقوق والامتيازات لا علاقة لها بالدين. ومن ثم يجب ألا يلحق هذا الشخص أي عنف أو ضرر سواء كان مسيحياً أو وثنياً" (لوك،١٩٩٧، ٣٢).

وفيما يخص مسألة حرية الضمير يرى **لوك** أن الحاكم يمنح كامل السلطة والثقة والصلاحيات على أن يستخدمها لأمر واحد وهو خير الناس وحفظ سكينتهم في المجتمع الذي نصب عليه، بمعنى أن الحاكم لا يمكن أن يضمن المساواة والعدالة بين البشر باستخدام نظرية الحق الإلهي التي تتحول في هذه الحال إلى سلطة استبدادية بدل أن تقوم على أساس ضمان السلام الاجتماعي. وهنا يصنف **لوك** التسامح إلى ثلاثة أصناف رئيسة وهي:

أولاً: جميع الآراء والتصرفات التي بطبيعة الحال لا تمس الدولة والمجتمع. وهذا هو حال الآراء النظرية والإيمان بالله. **ثانياً:** تلك التي هي من حيث طبيعتها الخاصة لا جيدة ولا سيئة لكنها تمس المجتمع وعلاقات الناس بعضهم ببعض. وهذا هو حال جميع الآراء العملية والتصرفات نحو الأشياء المحايدة، أي التي ليس لها علاقة مباشرة بالدين. **ثالثا:** ما يمس المجتمع لكنه في نفس الوقت من حيث طبيعته الخاصة جيد أو سيء وهذا هو حال الفضائل والرذائل الأخلاقية. وبعد ذلك انطلق **لوك** من هذا التصنيف إلى تحديد مجالات التسامح وفق معيار محدد هو ضمان السلام الاجتماعي، وحماية الملكية الخاصة للمواطنين (الصعدي، ٢٠١١، ٢٢٩).

٦-فلسفة الأخلاق عند لوك:

عندما نطّلع على فلسفة **لوك** الأخلاقية نقع في نفس الغموض الّذي واجهناه عند الاطّلاع على فلسفته الدّينية، فالمشكلة الأخلاقية لا تقل تعقيداً عن المشكلة الوجودية من منطلق أن المعرفة الخلقيّة ليس لها أساس مادّي. **فجون لوك** فيلسوف تجريبي يرفض كل ما يأتي إلى العقل إلا عن طريق الحواس والتجربة، ولكنّنا في نظريته الأخلاقية نلاحظ خروجاً عن فلسفته الواقعية فهو – كفيلسوف واقعي حسي-رفض تجريد الأخلاق من الأساس العقلي فالنزعات المادية الحديثة في الفلسفة تنفي وجود قيم خلقية في العالم الموضوعي (ضاهر ،١٩٩٠، ١٧-١٨). والحقيقة أن **لوك**

أنكر أن تكون الأخلاق فطرية تمشياً مع اتجاهه التجريبي الحسي العملي، إلا أنه اعتقد أن لدى الإنسان قدرات وملكات خاصة تجعله قادراً على اكتساب المعرفة الخلقية التي تمكنه من تحقيق حياة أخلاقية خيرة ينعم فيها بالسعادة، والسعادة هدف أسمى يسعى إليه معظم الفلاسفة منذ سقراط وأفلاطون وأرسطو وغيرهم ،فالأخلاق الفلسفية هي فلسفة علمية تمكن الإنسان من النفاذ إلى القيم، فهي لا تلقننا بعض الأحكام الجاهزة وإنّما تعلمنا دائماً كيف نحكم وذلك حين توجه انتباهنا نحو العنصر الإبداعي في الإنسان، والأخلاق منهج تربوي فهي مربّية الإنسان كما قال **أفلاطون** ومهمتها أن توقظ الإحساس بالقيم لدى الإنسان.(عبده، ١٩٩٥،٥) ورغم ظهور هذا الاتجاه العملي في الأخلاق عند **لوك** وتأكيد الفيلسوف نفسه على هذا المنحى إلا أنه حاول مع هذا إقامة علم نظري للأخلاق يتطابق مع الرياضيات، مثله في ذلك مثل العلوم الدقيقة، وبهذا ينتقل بنا من منطق الواقع إلى منطق الرياضيات النظري في مجال الدراسات الأخلاقية، فهو يقول مؤكداً ومدللاً على صحة هذا المعنى الذي يشير إليه بقوله أن لدي من الجرأة ما يجعلني أعتقد أنه بالإمكان البرهنة على المبادئ الأخلاقية بنفس الطريقة التي تتم بها البرهنة في الرياضيات. وهكذا يحاول **لوك** أن يضع أفكارنا عن المبادئ الخلقية في إطار المعرفة البرهانية، اعتقاداً منه بأنها تتسم بالدقة التي تتسم بها العلوم الرياضية. وقد اهتم **لوك** بأسباب السعادة الإنسانية وحصرها في خمسة أسباب هي: الصحة والسمعة الطيبة، والمعرفة، وفعل الخيرات، والأمل الذي يتوقع منه الإنسان سعادة أبدية وإن كانت مبهمة بالنسبة إليه. أما ما يسبب للإنسان السعادة الروحية التي توحي له بنيل السعادة الأبدية في العالم الآخر فهي الخضوع التام لما يمليه عليه العقل من طاعة القانون الإلهي الذي وضعه الله تعالى للإنسان حتى قبل أن يوجد على الأرض. واتفق مع **لوك** فلاسفة عصر النهضة في إمكان أن يحيا الإنسان حياة سعيدة وأبدية خالدة في العالم الآخر. (إبراهيم ،٢٠٠٠، ٢٧٧) هذه النظرة لتي تبناها **لوك** تجاه الأخلاق تمت مواجهتها بعنف في زمنه حيث أن الأخلاق في العالم المسيحي بصفة عامة ارتبطت بالأوامر والثواب والعقاب والمبادئ الدينية الميتافيزيقية ولكننا في العصر الحديث نجد أن **جون ديوي** أكد على جزء مما قاله **لوك** من حيث أن الأخلاق تنمو من حقائق حسية معينة وهي أكثر العلوم إنسانية وأقربها إلى الطبيعة البشرية، وتتصف بالحسية التي ل يمكن محوها فهي ليست لاهوتية ولا ميتافيزيقية ولا رياضية. (ديوي،١٩٨٦،٣٠٩) غير أن **ديوي** رفض أن تكون المعرفة الأخلاقية قائمة على البرهان ويشدد على دور البيئة في إقامة السلوك الأخلاقي عند الفرد من خلال تفاعله مع المحيط في حين أن نظرية **لوك** الأخلاقية

لم تكن مادية بحتة بل جمعت بين الجانب الحسي المادي، والجانب العقلي الّذي يعتمد على البرهان.

٧-أهم الانتقادات التي وجهت لفلسفة جون لوك:

على الرغم من كون فلسفة **جون لوك** تمثل إحدى أهم الفلسفات في الفكر التربوي الحديث، وعلى الرغم من أنها شكلت ثورة في مجال الفكر الغربي وتم الاعتماد على الكثير من مبادئها في مجالات السياسة والمعرفة إلا أنها تعرضت لمجموعة من الانتقادات من قبل من تلاه الباحثين والفلاسفة تمثلت فيما يلي:

١- يرى إبراهيم أن **لوك** جعل للمعرفة مصدرين أساسيين هما المصدر التجريبي والمصدر الحدسي وهما مصدران متضادان مختلفان.

٢- لقد أصاب النسق الفلسفي المعرفي عند لوك شيء من الخلط والاضطراب حتى أنه بدلاً من تحقيق معرفة تجريبية يقينية جعلها معرفة إنسانية قاصرة بسبب عدم كفاية الأفكار، ثم يبدأ في نقاش جدلي لا طائل تحته عندما ذهب إلى إنكار مذهب الثنائية بعد إثباته (إبراهيم، ٢٠٠٠، ٢٩٤). وهذا الانتقاد في رأي الباحث محق حيث أن هذا التناقض كان واضحاً بين تقرير **لوك** أن التجربة هي المصدر الوحيد للمعرفة في مكان، ثم تقريره في مكان آخر أن معرفة الله تقوم على البرهان دون أي دليل مادي.

٣- لم يفطن لوك إلى خصوبة المنهج الرياضي ولم يستفد من نتائج دراسات ديكارت الرياضية كما فعل سبينوزا وليبنتز. (أبو ريان، ١٩٩٦، ١٦٤) وهذا الانتقاد أيضاً محق في نظر الباحث حيث كان نقض الفكر الديكارتي هو الشغل الشاغل **لجون لوك** دون أن يقدم بديلاً واضحاً يمكن من خلاله الوصول إلى المعرفة بطريقة أخرى غير التجريب.

٤- يؤكد **لوك** على وجود الجوهر بصفة عامة إلا أنه يصرح بأنه لا يعرف عنه شيئاً وقد كان من الممكن أن يرفض فكرة الجوهر باعتباره صاحب موقف تجريبي حسي ولكنه يؤكد على أنها فكرة أساسية ورغم ذلك هي ليست فكرة بسيطة صادرة عن الحس أو التفكير. فهو إذاً لا يعرف عن الجوهر شيئاً ولا يكشف له الإحساس أو التفكير فكرة شيء اسمه الجوهر ومع هذا فهو يرى أنها فكرة ضرورية. ومن هنا يتضح أن فكرته عن الجوهر لا تتفق مع موقفه ولا تخدم قضية المذهب التجريبي الحسي على وجه العموم (محمود، ١٩٣٦، ٢١٥).

٥- لقد أشار جون لوك إلى أن العقل لا يدرك أي شيء إلا بواسطة أفكار فكيف يتسنى له أن يعرف أن أفكاره مطابقة للأشياء الخارجية؟ أي بمعنى أدق ما هو معيار مطابقة الوجود للواقع؟ لقد قال **لوك** بأن الحقيقة هي في مطابقة الأفكار والأشياء الخارجية ولكن يجب تقديم الدليل على ذلك أما **لوك** فقد اكتفى بإلقاء نظرة سطحية على الموضوع ولجأ إلى الرّأي العام الشائع بصحة المطابقة (أبو ريان، ١٩٩٦، ١٧٢). وهنا يرى الباحث أن هذا الانتقاد غير محق فالأفكار أساساً هي رموز عقلية للأشياء الموجودة في الواقع، ففكرة الكرسي تتكون بعد أن يتعرف الإنسان الكرسي عن طريق حواسه، وهذا ينطبق على كثير من الأفكار الموجودة في الواقع وهذا يتماشى مع منهجه التجريبي.

٦- يجد القارئ لفكر **لوك** تفككاً وعدم استقامة في الفكر تجاه موضوع النفس، فهو يشير إلى أننا نجهل كونها روحية أو مادية وهكذا فنحن نواجه صعوبة في التسليم بوجود الجوهر النفسي.

٧- يعتبر **لوك** أنه أثبت وجود الله استناداً إلى مبدأ العلية ومبدأ العلية يرجع إلى فكرة مركبة غير موضوعية كان قد أنكرها من قبل.

٨- أخذ على **لوك** بأنه حسي دائماً وهو مستعد للتضحية بالمنطق بدلا من أن يعدو متناقضاً. وهو يعلن مبادئ عامة ويصر على أنها مبادئ وعندما تظهر نتائج غريبة لهذه المبادئ يمتنع عن قولها.

٩- رأى البعض أن هناك اضطراب فيما يعتبره **لوك** برهنة على المبادئ الأخلاقية فهو يصر على إمكانية البرهان عليها ولكنه لا يقدم ما هو مقنع في هذا المجال فتارة يرى أن القواعد الأخلاقية معتمدة على أوامر الله وتارة أخرى يوحي بأنها تحليلية (إبراهيم، ٢٠٠٠، ١٩٦-١٩٧). وبرأي الباحث فإن هذا ليس تناقضاً بالمعنى الحرفي، بل هو محاولة من قبل **لوك** لوضع مرجعين للأخلاق، أحدهما تجريبي يقيم عليه الفرد مبادئه الأخلاقية بناء على المواقف التي يتفاعل فيها مع المحيط والآخر روحاني يُستمد فيه القانون الأخلاقي من الإرادة الإلهية.

وفي العموم فقد لاحظ الباحث أن التناقض الّذي يظهر في فلسفة **جون لوك** يرجع إلى رغبته في التوفيق بين فلسفة الدين القائمة على الأدلة الميتافيزيقية وفلسفة العلم القائمة على التجربة،

بمعنى أن رفضه الميتافيزيقيا الدينية بشكل قاطع سيعرضه لتهمة الإلحاد وهو لم يكن كذلك، بل كان شخصاً مؤمناً بتعاليم المسيح بعيداً عن التعصب والطائفية السّائدة. وهنا يرى الباحث أن محاولة **لوك** مهما كشفت عن تناقضات هي محاولة تستحق الاحترام والتقدير ولا تقلل هذه الثغرات من قيمتها العظيمة في الفكر الفلسفي الغربي.

الفصل الرابع

الأبعاد التربوية لفلسفة جون **لوك**

١-التربية الأخلاقية.

٢-التربية البدنية.

٣-مناهج الدراسات.

٤-النظرية الترويضية في التربية.

٥-السياسة والتربية.

٦-التربية الدينية.

٧-الانتقادات التي وجهت لفلسفة جون لوك التربوية.

يصنف جون **لوك** بين فلاسفة المدرسة التّجريبية أو الواقعية الحسية كما اتّفق على تسميتها، وقد تكونت هذه الفكرة التربوية خلال القرن السابع عشر. ولكنها ضمت بذور النظرة الحديثة في التربية سواء أكانت سيكولوجية أو اجتماعية أو علمية. ولقد اشتق اسم هذه الحركة من الاعتقاد بأن المعرفة إنما تكون بالأساس عن طريق الحواس ولذلك وجب تأسيس التربية على الإدراك الحسي لا على عمل الذّاكرة فقط. كما أنه من الواجب الاهتمام بكل ما تأتي به الحواس من معارف لا باللغة وحدها. (عاقل ،1989 ، ١١٦) وتنظر الواقعية للتربية بصفتها عملية توافق بين الفرد والبيئة المتغيرة، بحيث تحقق للفرد توازناً عقلياً وجسمياً مع بيئته المادية والاجتماعية، وتعده للحياة العملية كي يفهم واقعه الّذي يعيش فيه، ومن هنا يتبلور هدفها في كمال الفرد من خلال تدريب عقله، ولذا فهي تؤكد على المعرفة كأساس للتربية.(جيدوري،2011،٤٤٦) ويعتبر **لوك** أكد أبرز مربّي الواقعية الحسية وقد نشر عام ١٦٩٣ كتابه المعروف "بعض أفكار عن التربية " Some Thoughts Concerning Education" ونرى في هذا الكتاب أن **لوك** يضع نظاماً تربوياً رسمياً يؤكد على أهمية الضبط الذاتي ويوضح وجبات التربية التي يجب ألا تنحصر بعملية تلقين المعلومات تلقيناً ميكانيكياً بل يجب أن تهتم ببناء الإنسان ذي الس**لوك** القويم والشخصية السليمة، كما يرى **لوك** أن من واجبات التربية تطوير الحالة العقلية والجسمية عند الفرد. ويكن القول عموماً أن **لوك** قد شن حملة شديدة على عقلية المدرسين –وهذا ما تحدثنا عنه–وثار على التعليم الديني المستند إلى مقولة أن الأفكار فطرية وسابقة للوجود. وقد عد **لوك** الإحساس والخبرة المصدر الوحيد للمعرفة الحقيقية. ولقد عارض عدد من علماء النفس **لوك** بسبب اعتباره عقل الطفل لوحة فارغة متلقية فقط. ويؤكد هؤلاء العلماء أن العقل البشري قوة فاعلة إيجابية وليست سلبية فهي تكتسب المعرفة بالتفاعل والمعالجة القائمة على الإدراك أثناء تعامله مع البيئة الخارجية سوء الطبيعية منها أو الاجتماعية. وتهدف التربية الأولى للطفل إلى تكوين العادات الصالحة والتدرب على تقبل أوار الأب والمعلم والنظر إليهما بإجلال. ويرى **لوك** أن السبيل إلى بلوغ الفضائل الخلقية هو التعليم الديني الذي ينظم علاقة الفرد مع نفسه ومع الله. أما التربية العقلية فتأتي في مرحلة لاحقة وهدف التربية العقلية ليس بلوغ مكانة ما في علم من العلوم، بل أن يتفتح عقله لكل العلوم (حلاق والجندي ،2007، ٢١٠). وقد نشأت معظم أفكار

لوك التربوية نتيجة نفوره القوي من التعليم المدرسي المعني بالشكل وحده ومن الدراسات اللفظية التي كانت سائدة آنذاك. وسيقوم الباحث في سياق توضيح آراء **لوك** التربوية بدراسة ومناقشة الأفكار التربوية التي طرحها مباشرة في مؤلفاته أو ربط بعض أفكاره في المعرفة والسياسة بالتربية وذلك على النحو التالي:

١- التربية الأخلاقية:

إذا كانت للتربية وظائف مختلفة تتكامل في بناء شخصية الإنسان فإن الوظيفة الأخلاقية تأتي من حيث الأهمية في مقدمة هذه الوظائف. وذلك بحكم نشأتها وتطورها وارتباطها العضوي بثقافة المجتمع وتأثيره فيها. ومن هذه الأهمية تظهر أهمية الدور التربوي في تشكيل الصفات الخلقية السليمة وما يتبعها من قضايا تربوية أخرى تكون موضع اهتمام العملية التّربوية بأكملها(الجيوشي والشماس،٢٠٠٣، ٥٤) ومن هذا المنطلق احتلّت التربية الأخلاقية حيزاً هامّاً في فكر فلاسفة التربية عبر العصور فكان لكل فيلسوف فلسفته الأخلاقية وكثير من الفلاسفة كان لهم رؤية في التربية الأخلاقية تحديداً.

أما **جون لوك** فقد أكد على أهمية الفضائل الأخلاقية والاجتماعية في شخصية الطفل منذ تربيته الأولى، فالتربية الخلقية مقدمة على الثقافة ويؤكد في التربية على أهمية القدوة الحسنة والممارسة العملية بدلاً من اللجوء إلى التعليمات والنصائح والقواعد، حيث تبدأ هذه القدوة مع الأبوين مع تجنب العقاب الشديد والضرب وكذلك تجنب المكافآت المصطنعة، ويرى بأن الحنان والصداقة وسائل وغايات في آن معاً للتربية الحسنة وذلك لأهمية تنمية الفضائل الأخلاقية والاجتماعية (Root, ٢٠٠٥,75) وفيما يلي عرض لأهم المحاور التي تناولها **جون لوك** فيما يخص التربية الأخلاقية للطفل.

١-١ الفضيلة:

في سياق شرحه لرؤيته في الفضيلة الأخلاقية يفرق **لوك** بين التربية والتعليم وهذا ما ميزه عن معاصريه من المربين الذين يعتقدون أن التربية هي لتعليم. ويرى **لوك** أن التربية بكاملها يجب أن تكون ترويضاً وأن التعليم ليس إلا طريقة التربية العقلية وهو بعد يرى أن هدف التربية يجب أن يكون تكوين الخلق.يقول:

"إن الفضيلة، الفضيلة المباشرة هي ما يجب أن تستهدفه التربية"

وطريقة تحقيق هذا الهدف ترينا حرص **لوك** على القيمة الترويضية للتربية ويقول أيضاً:

كما أن قوة الجسد تنحصر في لقدرة على تحمل المصاعب فكذلك قوة النفس أساس كل فضيلة تنحصر في قدرة الإنسان على إنكاره ذاته والقضاء على رغباته وميوله التي لا يسمح بها عقله. وهذه القدرة إنما تنال عن طريق التعود والتمرن الباكر. ولذلك فأنا أشير بأن يعود الأطفال على قهر رغباتهم منذ المهد وإفهامهم أنهم إنما يحصلون لا على ما يسرهم بل على ما يجب أن يحصلوا عليه (عاقل ،١٩٨٩، ١٣٦). وفي تأكيده على دور الفضيلة يرى **لوك** أن التربية الخلقية مقدمة على الثقافة حيث يقول: إن ما ينبغي أن يتمناه المرء لابنه هو، عدا الثروة التي يخلفها:

١- الفضيلة.
٢- الأناة.
٣- الطباع المهذبة.
٤- الثقافة.

ومعنى هذا أن الفضيلة والأناة وهي المزايا الخلقية العملية، تشغل المحل الأول لديه. وما الثقافة في نظره إلا جزء يسير من التربية، بل أيسر أجزائها. لذا نراه في كتاب "الأفكار" حيث التكرار كثير، لا يكرر شيئاً كتكراره للأمور المتصلة بالفضيلة وإطرائها (عبد الدائم،١٩٧٣، ٣٦١).

١-٢ الشرف، مبدأ السلوك الخلقي:

أكد **لوك** – على الرغم من الانتقادات التي وجهت له–على أن مبدأ السلوك الخلقي هو **الشرف**. فبعد أن بين **لوك** مكانة التربية الخلقية وأحلها هذا المحل للائق، كان عليه أن يتساءل عن مبادئ هذه التربية ووسائلها. فهل مبدأ هذه التربية هو "النفع"؟ وهل على الطفل أن يتساءل قبل الفعل؟ كلا **فلوك** على الرغم من نزعته النفعية فيما يتصل بالثقافة والتربية الفكرية ليس نفعياً في التربية الخلقية. فمبدأ النفع إذا ليس مبدأه الخلقي. وليس مبدأه الخلقي

كذلك لخوف أو سلطة المعلم أو الآباء فهو يحمل على النظام الزجري ولا يبيح العقاب. وليس مبدأه أيضاً العطف وحب الآباء وكل ما له صلة بالعواطف الرحيمة. فما هو مبدؤه إذن؟

إن **لوك** يهيب منذ البداية بعاطفة الشرف والخوف والحياء أي بالانفعالات النبيلة، التي قد تكون لنبلها فوق سوية الطفل وملكاته. نعم إن الشرف الذي لا يختلف في الواقع عن الواجب إلا في اللفظ، والذي هو الترجمة الشائعة لكلمة فضيلة هو دون شك خير رائد خلقي لضمير راشد قد تكون إلا أنه من الشطط في الخيال أن نرجوه أن الطفل، وأن نأمل أن يكون منذ نعومة أظفاره قادراً على الإحساس بتقدير من يحيطون به أو ازدرائهم له. وإننا لنقر مع **لوك** أنه إذا أمكن أن نوحي إلى الطفل الحرص على سمعته والعناية بصيته، استطعنا أن نخلق منه ما أردنا، وأن نعلمه محبة جميع أشكال الفضيلة. غير أن المشكلة هي في إمكان مثل هذا الفعل، وفي نجاحه. ولعل "كانط" أقرب في هذا إلى الصواب حين قال: أنه من الجهد المضاع أن نحدث الأطفال بلغة الواجب. إنهم لا يرونه في النهاية إلا كشيء يعاقبون عليه بالعصا إذا هم حادوا عنه... لذا وجب ألا نحاول مع الأطفال استخدام عاطفة الحياء، بل علينا أن نرجئ ذلك حتى زمن الشباب. ومثل هذا الوهم يقع فيه **لوك** عندما ينتظر من الطفل طاقة خلقية تكفي لتجعل عاطفة الشرف قادرة وحدها على السيطرة عليه، وعندما يتكل على قواه الفكرية اتكالاً يدفعه أن يوصي بأن يفتح مجال المناقشة والتفكير معه، منذ أن يصبح قادراً على الكلام.

ثم إن هذه التربية الخلقية التي ينصح بها **لوك** يعوزها أيضاً أنها لا تتوجه إلى القلب والعاطفة، ولا تهيب بقوة المحبة النامية لدى الطفل. يضاف إلى هذا أن استعجال **لوك** مواهب الطفل ورغبته في أن يحرره سريعاً وأن يعامله معاملة كائن عاقل راشد وأن ينمي لديه مبادئ سيادة النفس، كل تلك جعلته يخطئ أيضاً في إبعاد الخوف من العقاب إبعاداً مطلقاً. نعم إن من الحسن أن نحترم في الطفل الحرية والكرامة اللتين نحترمهما في الراشد إلا أن هذا الاحترام ينبغي أن لا يفسد ويغدو وسواساً ووهماً ، وليس من الثابت أن تهيئة الإرادات الراسخة القوية تقتضي تحرير النفس مبكراً من كل خوف وضغط(عبد الدائم، ١٩٧٣ ، ٣٦٣).والحقيقة أن روسو قد أشار إلى هذ الأمر حين أراد أن تكون التجربة

الأخلاقية حياتية طبيعية حتى نهاية الطفولة الثانية على الأقل أي حوالي السادسة والسابعة من العمر فالتعليم النظري للأخلاق في هذه السن ليس له قيمة واقعية تذكر وأنه من الأفضل أن نجعل الطفل يشعر بأن الأخلاق جزء لا يتجزأ من الحياة وشكل من أشكال الأفعال والسلوك، ومن الواجب أن ندع الطفل يكون من هو وأن نعمل على تصحيح أحكامه دون شك غير أن من الواجب فوق هذا وقبل هذا أن يظهر كما هو على سجيته وألا يخدع الناس ويخفي عنهم حقيقته وأن يدرك أن الاعتراف لا ينقص من شأن الإنسان شيئاً بل يرفع من شأنه دوماً ويمحو من أخطائه. فالمشكلة الأخلاقية الحقة هي أن نوفر للروح الاجتماعية للطفل أحسن الشروط لنموها وتفتحها (رحمة والشماس،٢٠٠٧، ١٨٦).

١-٣ تحريم العقاب الجسدي:

إلى أوقات حديثة جداً لم يستوضح أي شخص وجهة النظر على أن من واجبات التربية تدريب الطفل في الطريق الّذي يجب أن يسلكه، كأن يتعلم قواعد السلوك، وتقاليد الصناعة ومعدل علم مناسب لمركزه الاجتماعي. أما الأساليب التي كان يتوصل بها إلى هذه فقد كانت صارمة وجاهزة. ويقول **رسل** عن هذه الأساليب: "ليست غير شبيهة لتلك الأساليب المستعملة لتدريب الخيول ما كان يفعله الكرباج للحصان، كانت تفعله العصا للطفل"(رسل ،١٩٨٥، ٣٠) ورغم أن هذه الأساليب كانت تؤدّي الغرض المطلوب إلى حدّ ما قديماً، إلا أنها واجهت ثورة فيما بعد حيث اتّجهت النظريات التّربوية نحو رفض العنف مع الطّفل فيما يتعلق بالسلوكيات الأخلاقية وفي التعليم المدرسي وهذا ما أكد عليه **لوك** في نظريته الأخلاقية، وما من شك أن **لوك** لم يفصل أسس النظرية التي وضعها في السلوك الخلقي. غير أنه إن كان قد قصر في الجانب الإيجابي من عمله، وإن كان لم يحط بكل ما ينبغي أن يفعله الطفل من فضائل خلقية، فقد أصاب توفيقاً أكبر فيما يتصل بالجانب السلبي أي في طرح كل ما ينبغي ألا يفعله الطفل. والفصول المخصصة للعقاب عامة وللعقاب الجسدي خاصة، هي خير فصول كتاب "الأفكار" وإليها رجع رولان وروسو أكثر الأحيان. على أن لوك نفسه قد استقى روحها العامة من "مونتاني" وقد حكم لوك على العقوبة الجسدية بأنها أداة خنوع تجعل الطبع ذليلاً. (عاقل ،١٩٨٩، ٣٦٣). فمونتاني عبر باحتقار عن العقاب والنظام القاسي الذي كان سائداً في مدارسة زمانه وعبر في آرائه التربوية أن العقوبات

القاسية بدل أن تحبب الآداب للأطفال فهي لا تزودهم إلا بالذعر والقسوة وهذا ما أكده لوك حين رأى أن العقوبات التي تطبق في المدرسة ليست فقط غير مثمرة وإنما هي أيضاً محفوفة بالمخاطر لأنها تدفع الطفل إلى مقت ما يجب أن يحبه (ذهبية،٢٠١١ ،٥).

٢- التربية البدنية:

كانت التربية البدنية تشغل مكاناً مرموقاً في حضارات قديمة كاليونانية والرومانية وغيرها، ورغم ظهور بعض الاتجاهات نحو إغفال تربية الجسم والاهتمام بتربية الفكر إلا أن هذه الاتجاهات لم تحل دون انتشار الاهتمامات الصحية والرياضية انتشاراً عالمياً وهكذا أصبحت التربية الجسدية تحتل مكاناً ونصيباً مرموقاً في مناهج التعليم وأنشطة مؤسسات التربية واتسع موضوعها فأصبح يشمل التربية الصحية والرياضية وتربية المهارات الجسدية (رحمة والشماس،٢٠٠٧ ، ١١٧) فقد رأى **أرسطو** قديماً إلى القول أن الجسم والرّوح مرتبطان بعضهما ببعض ارتباطاً كاملاً.إذ أن تفكير الإنسان يرتبط بحالة الجسم. وقد دعا إلى ممارسة الرياضة كالمشي والجري والوثب وأكد أن التربية البدنية يجب أن تكون لتسامي الإنسان ل لدفعه نحو العدوان. أما **أفلاطون** فأكد أن الرياضة ذات أهمية لكلا الجنسين وأن الموسيقى والرّياضة يشكّلان التربية العامة للإنسان(مرتضى وعرفات،٢٠٠٤ ،١٩). وقد ظهرت التربية الجسدية بوضوح في فلسفة **لوك** من خلال كتابه "بعض الأفكار في التربية والّذي قدم فيه رؤيته لتربية الطفل جسدياً وخاصة بعد الولادة. ويمكن أن نلاحظ هذا الأمر من الكلمات الأولى لهذا الكتاب حيث يقول **لوك:"العقل السليم في الجسم السليم هي عبارة قصيرة لكنها وصف تم للسعادة الكاملة في هذا العالم، ومن يمتلك هذين الأمرين سيكون لديه القليل من الأمور الأخرى التي يمكن أن يتمناها" (Locke,1993,6).** لقد كان المثل الأعلى للتربية عند **لوك** هو "العقل السليم في الجسم السيم" وقد كانت له كما كانت لــ "رابيليه" بحكم خبرتهما بالطب، دراية خاصة بأمور التربية البدنية. إلا أن نزعته إلى المفارقات وميله المفرط إلى الخشونة وتعويد الجسد القسوة أفسد بعض أفكاره. وقد لخص هو نفسه آراءه هذه في السطور التالية: كل ما في الأمر يؤول إلى عدد من القواعد السهلة: كثير من الهواء والتمرين والنوم، طعام بسيط، خلو من الخمر والمشروبات القوية، قليل من التداوي أو عزوف تام عنه، ألبسة

ليست بالضيقة ولا بالدفيئة كثيراً، وأخيراً وخاصة، الاعتياد على إبقاء الرأس والقدمين باردة، وعلى غمر القدمين غالباً في الماد البارد وتعريضهما للرطوبة".

فلنحاول الدخول في بعض تفاصيل الأفكار وفحصها عن كثب:

لوك هو أول مربٍّ بحث بحثاً منظماً ذا خطة في الطعام والألبسة ونوم الطفل. وهو الّذي وضع هذا المبدأ الّذي أعاده روسو: لنترك "لنترك للطبيعة أمر العناية بتكوين الجسم، على نحو ما ترى من واجبها أن تفعل". لهذا أوصى بالحياة في الهواء الطلق وفي الشمس، وأنكر الملابس الضيقة وأراد من الأطفال أن يحيوا كما يحيا الفلاحون متمرسين بالحر، حاسري الرأس حفاة القدمين. وفيما يتصل بالطعام يحرم **لوك** السكر والخمر والتوابل واللحم قبل سن الثالثة والرابعة. أما الفواكه التي يحبها الأطفال حباً مفرطاً فيضع **لوك** بينها بعض الفوارق فيبيح التوت الافرنجي والتفاح والإجاص ويحرم الخوخ والدراق والعنب. أما أوقات الطعام فلا يرى **لوك** أن تحدد. ومما لا شك فيه أن **لوك** يقسو على الأطفال قسوة كبرى، حيث يرى أن في وسع الجسم أن يعتاد كل شيء. وعلى الرغم من قسوة أفكار **لوك** في التربية البدنية والانتقادات التي وجهت له إلا أن تربيته تتميز بأنها تتجه نحو تكوين رجولة حقة، وبنظام طعام مقتصد والابتعاد عن اللين والترف والاقتراب من الطبيعة والبساطة (عبد الدائم ،١٩٧٣ ، ٣٦١) وإذا أردنا مناقشة أفكار **لوك** من وجهة نظر التربية الطبيعية نجد أن روسو قد أكد على بعض الأفكار الواردة في وجهة نظر **لوك** حيث دعا روسو إلى رفع اللفائف والقمط التي تعوق حركة الطفل بعد الولادة حيث أن الحركة هي المعطى الطبيعي للتعبير عن الذات ، ودور المربي إمداد الطفل بالغذاء وتلبية احتياجاته الطبيعية (المجيدل وآخرون،٢٠٠٨، ١٦٢).

٣ – مناهج الدراسات:

٣-١ منهج الدراسات في التربية الواقعية:

اهتم أنصار الواقعية بالمواد التعليمية أكثر من اهتمامهم بطرق الحصول على المعلومات، والمعرفة الصادقة عندهم هي المعرفة التي تناظر العالم كما هو، فقد تراكم على امتداد الزمن لدى الجنس البشري رصيد من المعرفة التي تكرر ثبوت صدقها. وعلية نقل هذ التراث

المعرفي هي وظيفة ومحتوى التربية الصحيحة، ومسؤولية التلميذ عندهم هي أن يتعلم من العالم المحيط به لا أن يوجد عالماً خاصاً به. وهنا لا بد للمتعلم من أن يتقن العلوم والمواد الأساسية التي وضعها السابقون، بوصفها حقائق لا بد من معرفتها ثم نجد الاهتمام بالكتب القديمة أو كتب التراث التي هي بمثابة خزائن للمعرفة عند الواقعيين. وهذا الاهتمام نابع من أن الإنسان قام بتعرف أشياء كثيرة وسجلها. ولما كان الإنسان لا يستطيع أن يعرف وحده كل شيء، أو أن يحيط بالمعارف السابقة عليه كافة، فإن التراث المنحدر من الماضي والذي يحمل خلاصة وفضل ما عرفه من سبقوه يمكن أن يقدم إليه هذه الكنوز. ومسؤولية كل جيل هي استيعاب ما قاله القدماء والإضافة إليه أيضاً.

وعلى هذا تؤدي المدرسة دوراً أساسياً لا تستطيع الأسرة أن تقدمه، لأنها غير معدة للقيام بهذه المهمة البالغة الأهمية. وهذا أيضاً يستتبعه أن تترك شؤون التعليم للاختصاصيين فيه لأنه قد أعدوا ودرسوا من أجل هذا الغرض. والدولة أيضاً ليس من حقها أن تتدخل في شؤون التعليم من حيث المناهج وطرق التدريس وأهدافه، ومع كل هذا من واجبها أن تهيئ للمربين التسهيلات لينهضوا بعقول الناشئة وينقلوا إليهم ذخائر المعرفة، ومن كل ما سبق يتضح لدينا أن التربية الواقعية تمركزت حول المادة الدراسية ووجهت الاهتمام نحو العلوم الطبيعية بشكل خاص، يمكننا بالعموم أن نوجز بعض النقاط التي تتصل بالمنهج الدراسي في التربية الواقعية:

- تعد الظواهر الطبيعية أهم مادة للدراسة.
- ينبغي الاهتمام بالمنهج المدرسي من حيث اتصاله بالمجتمع الخارجي.
- يدعو علماء الاجتماع الواقعيون إلى دراسة الإنسان على طبيعته دراسة مباشرة عن طريق الاتصال به في كل مكان.
- ينبغي أن تدرس العلوم في ضوء النظريات العلمية التي تشغل الأذهان في الوقت الحاضر. (المجيدل وآخرون ،٢٠٠٨، ١١٣-١١٦)

من هذا المنطلق يمكننا أن نحدد طبيعة المنهج الدراسي في فكر رائد الواقعية جون لوك.

٣-٢ منهج الدراسات عند جون لوك:

وجهت فلسفة **لوك** الواقعية اهتمامها على المواد الدراسية وقد اتفق مع المثاليين في ذلك لكنه اختلف معهم في اهتمامه بالتجارب والتطبيقات بحيث تقل فرص التعليم النظري وتتسع فرص التعليم العملي والتطبيقي ولهذا تتبنى الواقعية معنى واضحاً ومميزاً للعمل. وتعد الظواهر الطبيعية أهم مادة للدراسة بعكس الدراسات الأدبية واللغوية فقيمتها ضئيلة مقارنة بالعلوم الطبيعية، وقد ركز الواقعيون على أن تلبي مناهج التربية حاجات المجتمع المهنية. **(المجيدل وآخرون ،٢٠٠٨، ١١٣-١١٦)** أما **لوك** فقد أعطى أهمية خاصة لعدة أنماط من الدراسات في هذا المجال:

٣-٢-١ الدراسات النفعية:

من محاسن **لوك** التي لا تنكر ثورته ضد التربية الشكلية التي تحل محل العلم الإيجابي الواقعي حيث لا تعنى إلا بتعليم البلاغة السطحية واللفظ الأنيق، فهو يحتقر الدراسات التي لا تؤدي مباشرة إلى إعداد صاحبها للحياة. لقد ذهب بعيداً في ثورته ضد النزعة الشكلية التي كانت سائدة وفي تحبيذه للنزعة الواقعية، ونسي أن الدراسات المدرسية القديمة وإن كانت غير مفيدة بالمعنى الوضعي ولا تلبي حاجات الوجود العادية لها مع ذلك فائدة إذ يمكن أن تغدو إذا ملكتها يد صناع ماهرة، خير أداة لتثقيف الفكر وتهذيبه ولكن **لوك** كان يخاطب متعصبين كانت اللغة اليونانية كل شيء في الثقافة لديهم، وكانوا ينحرفون بالآداب عن رسالتها الأصلية ويجعلون معرفة اللغات الميتة الغاية الوحيدة للثقافة، لا وسيلة من وسائلها. مما يعني أن **لوك** لم يكن نفعياً أعمى ووضعياً فظاً يريد أن يحرف كل دراسة منزهة عن الغاية وكل ما هنالك أنه كان يريد أن يضع هذه الدراسات المنزهة في موضعها الطبيعي وأن يحلها المقام الذي تستحقه، فلا يصرف العناية إليها دون غيرها، ولا يضحي في سبيلها بالدراسات الجوهرية ذات النفع المباشر. (عبد الدائم ،١٩٧٣، ٣٦٥). وقد لاحظ الباحث أن اهتمام **لوك** بالدارسات العملية كان له أثر كبير في عصر التنوير نحو توجيه التعليم إلى الجانب العملي وبناء المعرفة على التجربة والبحث وقد أثر هذا الأمر كثيراً على مناهج التعليم، ولن نكون مبالغين إذا قلنا أن هذه الحركة كانت أساس التطور العلمي والتكنولوجي الهائل الذي تلا عصر النهضة، حيث ابتعد الفكر عن المسلمات والافتراضات المسبقة واتجه نحو التفكير العلمي والاعتماد على مبادئ العلوم الوضعية.

٣-٢-٢ الدراسات المشوقة:

تتصف الثقافة لدى **لوك** بالنفعية في غايتها،وكذلك فهي تتصف بالتشويق في وسائلها. فأبغض شيء إليه، بعد التشدق والعلم الفارغ الذي يصرف جهود الطفل في دراسات عقيمة، هو الفظاظة والقسوة في طرق التعليم، والوسائل المضنية والأسلوب المنهك الّذي يبدو فيه المعلم لتلاميذه إنساناً مخيفاً، منغصاً لطيب العيش.

ويوصي **لوك** خاصة باستخدام طرق التشويق في القراءة وفي الأعمال الأولى التي يقوم بها الطفل صغيراً، ويرى من الواجب أن نعلمه القراءة دون أن يلقى فيها شيئاً غير السلوى. ذلك أن الطفل في كل مراحل حياته حريص على الاستقلال والحرية، متعشق للذة والسرور. فعلينا أن نمتعه بكل ذلك، وأن نحترم مزاجه وذوقه الشخصي. وهنا يلتقي **لوك** بسبنسر الّذي بين أقوى بيان أن الفكر لا يمتلك حق الامتلاك إلا بالمعارف التي تولد له لذة وتثير لديه متعة. واللذة لا تكون إلا حيث يكون ميل طبيعي ننميه، أو نشاط أو ذوق فطري، ولا تتوافر إلا إذا كانت الجهود التي نطلبها من الطفل ملبية لرغبات طبيعية ونزعات فطرية لديه. وبهذا أدرك **لوك** قبل سبنسر وقبل غيره إدراكاً واضحاً كل الوضوح كيف ينبغي أن تقام التربية على أساس المعرفة الحاذقة بحاجات الطفل(عبد الدائم ،١٩٧٣، ٣٦٦**)**. وفي التّربية الحديثة أكّد **برترند رسل** على ما قاله **لوك** حيث يرى أن على الطّفل أن يتعلم في المدرسة نوعاً من الدّقة في الإدراك بالحواس، كما عليه أن يتعلم مبادئ الرسم والغناء والرقص والمقدرة على حصر الّذهن في عمل متّصل بتربيته حين يكون بين عدد من رفاقه(رسل،١٩٨٠ ، ١٨٠) ومن هنا فإن طرق التدريس المعتمدة في الفلسفة الواقعية قائمة على النظرة الترابطية إذ يقوم المعلم بتقسيم موضوع الدرس إلى عناصره الأساسية وتحديد المثيرات والاستجابات فلكل مثير استجابة عينة ، ومن ثم تقدم للمتعلمين بطريقة تجعلهم يستجيبون استجابة صحيحة للمثير المحدد، ويكافأ المتعلم كلما قام بالاستجابة الصحيحة ما يؤدي إلى تقوية الرابطة التي تؤدي إلى التعلم. والتربية الواقعية تنطلق من تعليم الأجزاء إلى تعليم الكل وتطلب من المعلم أن يكون قادراً على استرجاع وشرح المعلومات ومقارنة الحقائق وتفسير العلاقات بينها واستنباط معلومات جديدة. وأن يكون موضوعياً ينطلق من اهتمامات المتعلمين ربطاً بين ما يدرس وخبرات المتعلم وأن يحدد

المادة المدروسة تحديداً دقيقاً ما أمكن، وتبقى المبادرة في التدريس بيد المعلم فهو الّذي يحدد المعرفة المطلوب تعلمها (المجيدل وآخرون،٢٠٠٨، ١١٦).

٣-٢-٣ استظهار المعلومات:

لا يرى **لوك** ضرورة في استظهار المعلومات أبداً، فهو يبدأ من تلك الفكرة السيكولوجية القائلة بأن الذاكرة لا تقبل التقدم، ويمد بحثه بنظراته الحسية وفهمه الخاص للنفس الإنسانية، التي هي لديه صفحة بيضاء، معطلة النشاط خاوية، وما هي بمجموعة من الطاقات والقوى الحية التي تقوم بالدراسة وتشتد. وهو لا يعتقد أن الملكات النفسية أياً كانت، قادرة على النمو، لسبب واحد بسيط وهو أن ليس ثمة في نظره ملكات البتة. وفي هذا يقول:

"أنا أعلم أن هنالك من يزعم أن علينا أن نكره الأطفال على استظهار الدروس لننمي ذاكرتهم وندربها. ولكني أود أن يكون هذا الرأي قد صدر عن بحث وعقل يتناسب مع اليقين الذي يصحب به القول عادة، كأن تكون ثمة مشاهدات دقيقة تبرره بدلاً من أن يكون وليد العادة القديمة. إذ من البديهي أن قوة الذاكرة راجعة إلى تكوينها الموفق، لا إلى أنواع التقدم الذي تحرزه بفعل العادة والمران. صحيح أن النفس أهل لأن تحفظ الأشياء التي توجه إليها انتباهها، وإن عليها كي لا تدعها تفر أن تطبعها من جديد مرات عديدة في ذاكرتها عن طريق التفكير الكثير. إلا أن هذا العمل لا يمكن أن يتعدى القوة الطبيعية لذاكرتها. والأثر لا يمكث في الشمع أو الرصاص المدة التي يمكثها في النحاس أو الفولاذ. وصحيح أن الأثر يبقى أكثر من غيره إذا تعهدناه بالتجديد. غير أن كل عمل فكري جديد تقوم به على هذا الأثر هو نفسه أثر جديد، وعدد هذه الآثار هو الذي ينبغي أن يحسب إذا أردنا أن نعلم كم من الوقت تستطيع النفس أن تحفظه. وواضح أننا إذا علمنا النفس صفحات من اللاتينية، لا نهب للذاكرة استعداداً أكثر للحفظ، كما أننا حين نحفر فكرة على صحفة من الرصاص، لا نجعل هذا المعدن أقدر على حفظ انطباعات أخرى (عبد الدائم ،١٩٧٣، ٣٦٧)

وقد واجهت فكرة **لوك** هذه انتقاداً فلو كانت صحيحة لأصبحت التربية مستحيلة، لأنها تفترض وجود بذور طبيعية يخصبها التمرين وينميها. على أن **لوك** يستبق عصره دون

شك عندما يطرح تلك المسألة التي لقيت عناية خاصة في نظريات التعلم لحديثة وسميت "انتقال أثر التدريب"

٣-٢-٤ تعلم المهنة:

يريد **لوك** كما روسو أن يعلم تلميذه مهنة من المهن، غير أن **لوك** إذ يوصي بأن يتعلم فتاه مهنة التجارة أو الزراعة، كان يهدف من وراء ذلك إلى غاية غير التي كان يهدف إليها روسو، فهو يريد بذلك أن يهيئ عن طريق هذا العمل الجسدي سلوى للفكر وفرصة للراحة والاسترخاء وأن يقدم للجسد تمريناً مفيداً. أما روسو فيريد من وراء ذلك تعلم المهنة بالذات، إذ يكون بها "إميل" في مأمن من العوز إذا ما ساءت أحواله في يوم من الأيام. بالإضافة إلى أن روسو يخضع في هذا لبعض الغايات الاجتماعية بل الاشتراكية إذ يرى أن العمل واجب لا يستطيع أي إنسان الفرار منه، والمواطن العاطل عن العمل غنياً كان أو فقيراً هو مراوغ. (عبد الدائم ،١٩٧٣ ، ٣٦٨) وقد وافق كل من **لوك** وروسو في موضوع تعلم المهن الفيلسوف الأمريكي جون ديوي في كتابه "المدرسة والمجتمع" حين تحدث عن سكلجة المهن لكنه لم يقصد بالمهن العمل الشاغل أو التمرينات التي تعطى للطفل كي تحول بينه وبين الخبث والكسل ولكن يقصد بالمهن نوعاً من الفعالية يقوم به الطفل وينتج عنه نوع من العمل أو أنه يوازي نوعاً من العمل الذي يمارسه في الحياة الاجتماعية والنقطة الأساسية في نفسانية المهن أنها تحفظ التوازن بين الخبرة الفكرية والجوانب العملية من الخبرة، فإذا وجدت مهنة عمل أو حركة فإنها تجد تعبيراً عن نفسها بالأعضاء الجسدية كالعيون والأيدي وغيرها ولكنها أيضاً تشمل ملاحظة مستمرة للمواد وتخطيطاً مستمراً وتأملاً . (ديوي ،١٩٨٦، ١٣١)

٣-٢-٥ بيوتات العمل:

اهتم **لوك** خلال عمله بالمجال التربوي بمشكلات التعليم الابتدائي وخاصة ما يتعلق منها بالفقر وعدم القدرة على تأمين متطلبات الدراسة. ففي عام ١٦٩٧ وجه إلى الحكومة الانكليزية تقريراً ذا شأن حول ضرورة تنظيم "بيوتات العمل" للأطفال والفقراء، وفيه يرى أن الأطفال الّذين يتراوح عمرهم بين الثالثة والرابعة عشرة، ينبغي أن يجمعوا في ملجأ يجدون فيه العمل والغذاء.

وكان **لوك** يرمي من وراء ذلك إلى محاربة الفساد الخلقي والفقر، وإلى مداواة الكسل والتشرد لدى الأطفال، وإلى التخفيف عن الأم في المراقبة، إذ لا تتسع أوقاتها المغمورة بالعمل لرعاية الأطفال حق الرعاية. كما كان يريد من وراء ذلك أيضاً تكوين أناس معتدلين عن طريق الاعتياد على النظام أو بتعبير آخر كان يحاول القيام بخلق جيل اجتماعي جديد. (عبد الدائم ،١٩٧٣، ٣٦٩)

٤- النظرية الترويضية في التربية:

٤-١ ما هي النظرية الترويضية؟

إن نظرية الترويض العقلي متأصلة في الثقافة الغربية، وقد يعود السبب في ذلك إلى أن أفلاطون كان قد أكد على الاستقلال النسبي للعقل عن الوسط الّذي يوجد فيه ولعل خير الشواهد على ذلك ما جاء به في الحوار الّذي دار بين سقراط وغلوكون حول تربية مواطني المستقبل في "جمهورية أفلاطون".

وتعرف هذه النظرية في علم النفس التربوي باسم **نظرية التدريب الشكلي** حيث سيطرت هذه النظرية فترة طويلة من الزمن في ميدان التربية والتعليم من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر. ومع أن البحوث العلمية والأعمال التجريبية أثبتت بطلانها وعدم صحتها فإننا ما نزال نلحظ آثارها في أقوال وممارسات المعلمين والمربين، وتستند هذه النظرية إلى الملكات العقلية التي ترى أن العقل كون من مجموعة قوى عقلية: كالإدراك والمحاكمة والانتباه والذاكرة. الخ وهي قوى مستقلة ومنفصلة الواحدة عن الأخرى. وإن هدف التربية ووظيفتها تكمن بالدرجة الأولى في تدريب هذه الملكات وتمرينها بجعلها قادرة على العمل بكفاية عالية في أي مجال آخر غير المجال الّذي تم التدريب فيه وإن تكرار التدريب كان الطريقة الوحيدة المعتمدة. كما كان الاعتقاد الشائع وقت سيطرتها أن الملكات العقلية شأنها شأن العضلات تتقوى وتشحذ بالتمرين، وهذه القوى يمكن الاستفادة منها في كل وقف نحتاجها فيه.

وقد أدى ذلك كله إلى اختيار مواد المنهاج وموضوعاته لا من وجهة نظر حيوية الحقائق والمعلومات والمهارات التي يشتمل عليها وإمكانية استخدامها في مواقف الحياة المختلفة وإنما من زاوية قيمتها الترويضية لأنها تحيل الملكات العقلية إلى قوة جاهزة للعمل أنى وحيثما كان ذلك ضرورياً (منصور ،١٩٩٣، ٢٧٨).

٤-٢ لوك رائد النظرية الترويضية:

بالنسبة **لجون لوك** فهو يرى أيضاً بأن التربية ترويض، وبهذا يقوي الاعتقاد الّذي كان سائداً في زمانه. ولكن الترويض الذي يقول به **لوك** أوسع من الترويض الذي كان يراه معاصروه من المعلمين. لقد أكد **لوك** في أكثر من حل في كتاباته أن هواه الأعظم هو حب الحقيقة، وأن العقل هو الدليل للوصول إلى الحقيقة. ولكن النفس لا تستطيع بلوغ هذا الهدف إلا إذا ربيت تربية خاصة عن طريق الترويض الشديد. إن فلسفة **لوك** التي عبر عنها في كتابه (مقال عن الفهم الإنساني) هي فلسفة بيكون الخبرية، والتي ترى أن كل معرفة مصدرها الإدراك الحسي والإدراك العقلي (أي عن طريق الخبرة) وإن هذا الإدراك العقلي إنما ينمى عن طريق ترويض القوى العقلية وملكات النفس ولا سيما العقل. ومن منطلق رؤيته أن نفس الطفل صفحة بيضاء فإن فضائل هذه النفس وقواها تكتسب من الخارج وعن طريق تكوين العادات الذي يتم بالترويض ويؤكد على دور التأمل في التربية حيث أن القراءة وحدها غير كافية (عاقل، ١٩٨٩، ١٣٥).

٤-٣ التربية العقلية:

تتناول التربية العقلية بشكل عام عمليات التفكير المختلفة من إدراك وانتباه وحفظ وتذكر وتخيل وتجريد وتعميم وتحليل وتركيب ومحاكمة وإبداع وغيرها، فتعمل على توجيه نمو هذه العمليات وتنمية القدرات العقلية من ذكاء وبتحقيق هذه المهمات يغدو الفرد أكثر قدرة في ممارسة وظائف التفكير وإنجاز عملياته. (رحمة،١٩٩٨، ١٧). ويرى **لوك** أن تحقيق هذه المهمات من خلال التربية العقلية يتم من خلال التّرويض **فلوك** يتفق في كثير مما يتعلق بمواضيع الدرس مع الواقعيين الحسيين لكنه يصر دوماً على نظرته الترويضية، يقول: "التعلم المحل الثاني بعد الفضائل"

ويرى أنه ليس ثمة عمل لتربية تمكين لطفل من إتقان علم ما، بل فتح نفسه وتجهيزها بما يمكنها من إتقان أي علم عندما يرى لزوماً له ... ولذلك فعمل التربية هو زيادة قوى النفس وفاعلياتها لتوسيع محتوياتها (Root,2005,72)

وهو يرى أن التربية العقلية تنحصر في تكوين العادات الفكرية عن طريق التمرين والانضباط. ويرى أن الرياضيات هي خير ما يستعمل لهذه الغاية ولذلك يجب أن تعطى الرياضيات لكل من عندهم الوقت الكافي ولم تتح لهم الفرصة" ثم يقول: "وليس لغاية جعلهم رياضيين، بقدر ما هي جعلهم مخلوقاتٍ عاقلة"

ويتابع رأيه فيرى أننا نسمي أنفسنا عاقلين لأننا نستطيع أن نكون عاقلين إذا أردنا ولكننا نستطيع القول بأن الطبيعة لا تمنحنا أكثر من البذور اللازمة لذلك وإن التمرين ضروري لكي ننال صفة العقل. ودراسة الرياضيات تفيد في تكوين عادة المحاكمة العقلية، ليس بسبب الاعتقاد بأن الناس يجب أن يصبحوا جميعهم رياضيين ولكن إيماناً منه بأن في إمكانهم وقد حصلوا على ملكة المحاكمة الصحيحة أن ينقلوا هذه القابلية إلى أجزاء المعرفة الأخرى" (عاقل ،١٩٨٩، ١٣٧)

٤-٤ التربية الترويضية في المدارس:

سادت التربية الترويضية في مدارس **انكلترا**، فرغم نقد لوك للمدارس هناك إلا أنه كان هناك اتّفاق بين نظرته التربوية ونظرتهم، فما احتج عليه لوك هو أن المدارس قد قصرت جهدها على التربية العقلية وأنها في هذا التمرين قد عنيت بما ليس مهماً من فاعليات النفس وأن الوسائط التي استعملتها وخاصة اللغة اللاتينية محدودة الأثر وتنمي قابليات وملكات قليلة القيمة" أما فيما عدا ذلك فقد كانت النظرة الترويضية سائدة في مدارس انكلترا. ومن الأدلة على سيادة النظرية الترويضية في مدارس انكلترا كذلك المبالغة في استخدام العقاب الجسدي وتكليف التلاميذ الصغار بخدمة الكبار كما أن المناهج الفقيرة المحدودة التي لا تتجاوز قواعد اللغتين اللاتينية واليونانية والإنشاء فيهما والتي تحكمت في المدارس الانكليزية حتى مطلع القرن التاسع عشر تؤيد سيادة الفكرة

الترويضية القائلة بأن المواضيع غير مهمة في التربية وأن الأهمية كل الأهمية لقيمة المواضيع الترويضية(عاقل ،١٩٨٩، ١٣٤ – ١٣٨)

وقد تعرضت هذه النظرية لانتقادات شديدة وكان لأبحاث ثورندايك تأثير مهم في مدى صحتها حيث لم يثبت لأية دراسة قيمة في تحسين أي قدرة أو ملكة عقلية.

وقد قام العلماء في العصر الحديث بتجارب عديدة للتحقق مما تزعمه هذه النظرية فبينت أن أثر التدريب خاص وليس عاماً، كما بينت أيضاً أن النقل يحدث بشروط خاصة. منها ما هو ذاتي يتصل بالمعلم نفسه، ومنها ما هو موضوعي يتصل بطبيعة المادة أو الموضوع أو الشيء المتعلم. وهكذا يثبت بطلان هذه النظرية التي اعتقدت أن المهم في التعلم شكل لنشاط وليس مضمونه ومحتواه. (خيون وعلي،٢٠٠٦، ٥)

٥- السياسة والتربية:

ارتبطت السياسة بالتربية عبر العصور ففي القديم وضع أفلاطون في كتابه "الجمهورية" منهجاً كاملاً لتربية الحكام، يمر خلاله الحاكم بمراحل يصل بعدها للحكم وقد اجتاز كل الاختبارات التي تضمن كفاءته الجسدية والعقلية للقيادة والحكم وفي ضوء هذا قسم "أفلاطون" المجتمع إلى ثلاث طبقات : طبقة الحكام والفلاسفة وطبقة الحراس والجنود ثم طبقة العبيد وجعل لكل طبقة وظيفتها ودورها في بناء المجتمع، ثم إن لكل طبقة تربيتها الخاصة بها فالطبقة التي تستجيب لرغباتها وشهواتها تكون صالحة للعمل فقط وهي طبقة العبيد أما الطبقة التي تملك مقومات الشجاعة والقوة فهي تكون صالحة للحرب والدفاع وهذه طبقة الجنود والطبقة التي تستأثر بالفكر والفلسفة لا تصلح إلا للحكم والرئاسة وهذه هي طبقة الفلاسفة .(المجيدل وآخرون، ٢٠٠٨، ٨٨) . وفي العصر الحديث يرى **برتراند رسل** أن واجب التربية تدريب النشء ليكونوا مواطنين صالحين ويميز **رسل** بين تربية الفرد وتربية لمواطن فالتربية التي تنتج عن اعتبار الناشئ فرداً تختلف جداً عن تلك لتي تنتج عن اعتباره مواطن المستقبل فتثقيف العقل ليس كما يبدو ظاهر الأمر هو نفسه التثقيف الذي ينتج مواطناً نافعاً (رسل، ١٩٨٦، ١٢) وعلى العموم فإن الغاية التربوية العليا لأي فلسفة تربوية في أي بلد من البلدان هي تكوين المواطن الصالح القادر على العمل والتطوير

والملتزم بالقانون والمخلص للوطن والمدافع عنه. وبالنسبة لـــ **جون لوك** فقد ظهرت آراؤه في الدولة المدنية والمواطنة في رسالتيه في الحكم المدني وفيما يلي أهم النقاط التي تطرق لها **لوك** ولها ارتباط بالتربية.

٥-١ الحرية الطبيعية:

ترى الفلسفة الواقعية عموماً أن قيمة الإنسان تكمن في حريته، وجوهر حرية الإنسان يكمن في قدرته على التوفيق بين متطلبات الحياة الأدبية والحقائق الموضوعية والمتطلبات الذاتية وينتج هذا التوفيق من خلال سلوكه وعبر تصرفاته، فالإنسان القادر على تصور الخير يفيد منه هو كما يفيد غيره من النّاس.(قربان ،١٩٨١ ، ١٩) وقد عبر **لوك** عن مفهوم الحرية في فلسفته أما ارتباطه بالتربية فقد ظهر ضمن مؤلفاته بشكل غير مباشر ، والحقيقة أن **روسو** كما يرى الكثيرون كان قد بنى على أفكار **لوك** كل التطبيقات التربوية التي وردت في مؤلفاته ذات العلاقة بالتربية. أي وباختصار فإن **لوك** حظي بشرف كتابة الكتاب التربوي الأول الّذي يبحث عن الطفل واستأثر روسو بشرف استخلاص التطبيقات التربوية من طبيعة الطفل حيث وجدت التربية للمرة الأولى هدفها وعملياتها وطرقها في حياة الطفل وذاته وخبرته(جامعة النجران ،٢٠١٠، ٨٣). وقد قام الباحث بتوضيح مفاهيم الحرية في التربية في فكر **لوك** من خلال النقاط التالية:

٥-١-١ الحرية الجسدية:

رأى **لوك** أن بذور الحرية عند الطفل تبدأ منذ الطفولة المبكرة و المطلع على كتاب **لوك** "أفكار في التربية" يلاحظ مباشرة أن **لوك** يدعو لتحرير الطفل منذ الولادة عندما يرفض كثرة اللباس للطفل ويدعو إلى تعويده على التقشف وتعرف المحيط وقد أشار الباحث إلى هذا الأمر ، والحقيقة أن مفهوم الحرية في التربية عند **روسو** يبدأ من هذا المنطلق تحديداً عندما يدعو للحرية الجسدية التي توفر للطفل كل ما يحتاجه من إيقاعات النماء الجسدي الحر الّذي يأخذ مساره عبر النشاطات والفعاليات والألعاب وترك الحرية لجسده ورفض كل ما من شأنه أن يقيد حريته.(وطفة ، ٢٠١١، ١٢). والحقيقة أن الحرية بهذا المعنى مفيدة جداً للطفل في مراحل لاحقة حين تدفعه للتجربة وتعرف المحيط وتنمية الحواس

واستخدامها بالشكل الصحيح، وهذا ما يجعل الطفل المتعلم فعالاً لا سلبياً مقيداً يفعل ما يملى عليه.

٥-١-٢ الحرية في المجتمع:

يرفض **لوك** العبودية ويؤكد على حرية الإنسان لكنه يميز بين الحرية الخاضعة لضوابط القانون والحرية التي تحرر الإنسان من كل الضوابط وتدفعه لفعل كل ما يريد.

يقول لوك: "تعني حرية الإنسان في المجتمع أنه ليس مسخراً لسلطة تشريعية سوى السلطة التي نصبت بالاتفاق في الدولة وأنه ليس خاضعاً لأي إرادة أو مقيداً بأي قانون سوى ما تسنه تلك السلطة التشريعية وفقاً للأمانة التي عهد به إليها. فالحرية ليست ما يذهب إليه السير روبرت فليمر حيث يقول: هي حرية كل امرئ في أن يصنع ما يشاء وأن يحيا كيف شاء وألا يتقيد بأي قانون" إذ أن حرية الناس في ظل الحكومة معناها الحياة بحسب قاعدة منصوص عليها تنطبق على جميع أفراد تلك الجماعة." (لوك ،١٩٥٩، ١٥٠) ويرى الكثير من الباحثين في فلسفات التربية أن **روسو** استمدّ الكثير من أفكاره في الحرية الطبيعية للفرد من أفكار **لوك** فقد ربط روسو بين لحرية والوطنية والفضيلة فلا وطنية بلا حرية ولا حرية بلا فضيلة ولا فضيلة بلا مواطنين ومن دون المواطن لن نحصل على شيء ولكي نحصل على رجال مواطنين لا بد أن نربيهم منذ طفولتهم (المجيدل وآخرون ،٢٠٠٧، ١٦٩) والحرية الّتي نراها في فلسفة **لوك** الواقعية حرية إيجابية متمثلة في قدرة الأفراد على الاختيار الفعال في سعيهم لتحقيق مصالحهم ومصالح مجتمعهم ويتم ذلك بخلق جو مشبع بالمحبة والإخاء والمساواة والتجاوب بين المواطنين المتعلمين.(الأحمد والسناد ، ٢٠١١ ،٣٧٤).

٦- التربية الدينية:

ظهرت أفكار **جون لوك** في التربية الدينية في كتابه **رسالة في التّسامح** والذي تناوله الباحث في الفصل الثالث من الرسالة. وعلى الرغم من أن الكتاب ديني يناقش بشكل مباشر أسس التسامح وضرورته في العقيدة المسيحية إلّا أن الكثير من الآراء الواردة فيه

ترتبط مباشرة بالتّربية الدينية الصحيحة للفرد وخلق الإنسان المفكر المتسامح المتعايش مع أبناء مجتمعه والمتقبل للخلاف، وقد صنّف الباحث هذه الأفكار والآراء وفق الآتي:

٦-١ رفض القناعات الدينية الفطرية:

عندما وجه لوك سهام نقده نحو الأفكار الفطرية شمل معها فكرتنا الفطرية عن وجود الله تعالى، ولا يعني ذلك أن لوك ينكر وجود الله تعالى بل هو على عكس ذلك تماماً يعتقد بوجوده لكنه ينكر فقط أن تكون فكرتنا عنه فطرية، ويرى أن معرفتنا بوجود الله معرفة برهانية ويقصد بها قدرة إدراك العقل لما بين الفكرتين من اتّفاق أو اختلاف إدراكاً غير مباشر، وبالتالي فإنّ هذا النوع من المعرفة يحتاج لإثبات صحته إلى برهان، إذاً فمعرفتنا بوجود الله تعالى برهانية تعتمد على مبدأ العلية، ذلك أن الموجود الحادث الّذي هو أنا (الإنسان) يستلزم موجوداً سرمدياً عاقلاً كلي القدرة أكثر منا قوة ومعرفة وعلماً(إبراهيم،٢٩١،٢٠٠٠) وفي هذا السياق يقول **لوك** في رسالته: "ليس في إمكان أي إنسان، حتى لو أراد أن يكيف إيمانه طبقاً لأوامر إنسان آخر، لأن جوهر الدين الحق وقوته يكمنان في القدرة على اقتناع العقل اقتناعاً داخلياً شاملاً. كما أن الإيمان لا يصبح إيماناً دون اعتقاد. فمهما يكن ما تقره، ومهما تكن العبادة البرانية، فإنك إن لم تكن على قناعة تامة بصدق هذا الاعتقاد وهذه العبادة وبرضا الله فإن هذا لا يفضي إلى خلاص النفس بل يقف حجر عثرة أمام خلاصنا. ومن هذه الزاوية فإنك بدلاً من التكفير عن خطاياك الأخرى بممارسة الدين تقدم إلى الله عبادة أنت تؤمن بأنها لا ترضيه فتضيف خطيئة أخرى وهي النفاق وازدراء الجلالة الإلهية" (لوك ،١٩٥٦،٢٤-٢٥) ونحن نعلم مما اسبق أن **لوك** اعتقد بأنه لا يوجد شيء لا يمكن معرفته إلا من خلال الإحساس لكنه استثنى من ذلك وجود الله تعالى، فقد اعتقد أن وجوده لا يمكن إثباته إلا عن طريق المعرفة البرهانية.

٦-٢ الحرية الدينية:

تظهر الحرية الدينية عند **لوك** بوضوح في اقتناعه بضرورة ترك الحرية لكل فرد باختيار الكنيسة التي يقتنع بأفكارها وبصحة مبادئها ولذلك نادى **لوك** بضرورة تجنب التأمل النظري في الدين، والّذي يؤدّي إلى غموض المعرفة الروحية، فلا يجب

مهاجمة من يخالفوننا في الاعتقاد لعدم وضوح المعرفة بالبرهان ولا يجب أن تضطهد الكنيسة أي إنسان بسبب عقيدته لأن الحرية مكفولة للجميع، فضلاً عن ضرورة تجنب التحيز لجماعة دينية دون أخرى ، لأنه من الضروري أن تعمل الكنيسة لأجل سعادة المواطنين(إبراهيم ،٢٨٦،٢٠٠٠) ومن المعروف في الأخلاق المسيحية أن توافر حرية الاختيار يوجب توافر المعرفة. فمن لم يسمع الكلام لا يستطيع اتباعه (بايه،١٩٩٩ ،٣٥) ويؤكد **لوك** أن لكنيسة مجتمع حر ذو إرادة فلا أحد يولد عضواً في أية كنيسة وإلا فإن الدين في هذه الحالة ينقل بالوراثة من الآباء إلى الأبناء تماماً مثلما تنقل الأرض طبقاً لحق الإرث وبناء على ذلك يحتفظ كل فرد بإيمانه كما يحتفظ فيها بأرضه ..وتساءل **لوك** عن إمكانية تصور الإيمان في مثل هذا الوضع غير المعقول وأوضح أن الإيمان ينبغي تصوره نحو آخر. يقول **لوك:**

"ليس ثمة إنسان ملتزم بطبيعته بكنيسة معينة أو بطائفة معينة، ولكنه ينضم طواعية إلى كنيسة ما يعتقد أنه يمارس فيها العقيدة الحقة والعبادة المقبولة من الله. وحيث أن الدافع الوحيد وراء انضمامه إلى مثل هذه الكنيسة هو أمله في الخلاص فإن هذا الدافع أيضاً هو علة استمراره فيها. فإذا اكتشف أخطاء في معتقدات الكنيسة التي انضم إليها أو أية تناقضات في أساليب العبادة، فلماذا لا تترك له حرية الخروج من هذه الكنيسة مثلما كانت له حرية الانضمام إليها؟ ". (لوك،١٩٥٦، ٥٧)

٦-٣ الدين والأخلاق:

يرى **لوك** أن ما يسبب للإنسان السعادة الروحية التي توحي له بنيل السعادة الأبدية في العالم الآخر هو الخضوع التام لما يمليه العقل من طاعة القانون الإلهي الّذي وضعه الله تعالى للإنسان حتى قبل أن يوجد على الأرض. واتّفق مع لوك فلاسفة عصر النهضة ديكارت ومالبرانش وبسكال وليبنز في إمكان أن يحيا الإنسان حياة سعيدة خالدة في العالم الآخر.

لقد جعل لوك إرادة الله تعالى وقدرته خلف النظرية الأخلاقية التي حاول إقامتها إيماناً منه بأن الله تعالى يبصر الناس في الظلام، ويرتب لهم الثواب والعقاب ويحاسب المذنبين، كما منح الله تعالى الإنسان الأمانة الكبرى. العقل الّذي يستطيع بمقتضاه أن

يتعرف بالبرهان على الحقائق الأخلاقية التي يجب أن يهتدي بها، فضلاً عما تضمنه الكتاب المقدس من تعالي ومبادئ أخلاقية تنظم سلوكه وترسم له طريق السعادة في الدنيا والآخرة (إبراهيم ،٢٠٠٠، ٢٨٧) ويؤكد **لوك** أن إرادة الله تعالى هي الأساس الراسخ للأخلاق، وهذا الموقف هو ما يتقيد به **لوك** دائماً، فقد وضع الله تعالى قانونه من قبل الإنسان، والحياة الأخلاقية تتمثل في طاعة ذلك القانون، بل إن طاعة أوامر الله تعالى تتفق مع طبيعتنا البشرية، وهو ما يبحث عنه البشر في نهاية المطاف.

٧ – الانتقادات التي وجهت لفلسفة جون لوك التربوية:

وجه المفكر العربي **عبد الله عبد الدائم** مجموعة من الانتقادات لفلسفة لوك التربوية يمكن إيجازها فيما يلي:

وجه عبد الدائم مجموعة من الانتقادات لبعض الجوانب التربوية في فلسفة **جون لوك** أهمها:

١- كان **لوك** مفرطاً في الخشونة في تربية الطفل البدنية وتعويد الجسد على القسوة وهذا أفسد أفكاره عندما أراد من الأطفال أن يحيوا متمرسين بالحر والقر حاسري الرأس حفاة القدمين.

٢- يخطئ **لوك** في التربية الخلقية عندما يعامل الطفل معاملة الرجل ولا يقدر ما فيه من ضعف فيطالبه بالالتزام بعاطفة الشرف والخوف والحياء والتي قد تكون فوق سوية الطفل وملكاته.

٣- يعوز تربية **لوك** الخلقية التي ينصح بها أنها لا تتوجه إلى القلب والعاطفة ولا تهيب بقوة المحبة النامية لدى الطفل.

٤- استعجل **لوك** مواهب الطفل ورغبته في أن يحرره سريعاً وأن يعامله معاملة عاقل راشد وينمي لديه مبادئ سيادة النفس، كل تلك جعلته يبعد الخوف من العقاب إبعاداً مطلقاً(عبد الدائم، ١٩٧٣،٣٦٨) ويرى الباحث أن هذه الانتقادات محقة حيث أن من مبادئ التربية الحديثة ترك الطفل ينمو بحرية دون محاولة استعجال هذا النمو فالمفهوم الحديث للتربية يريد من الطفل أن يكون طفلاً لا رجلاً صغيراً، وأن يتعلم ما يناسبه وفق عمره وقدراته العقلية وميوله دون إجباره على القيام بما لا يناسب سنه.

٥- يرى عبد الدائم أيضاً أن**لوك** ذهب بعيداً في ثورته ضد النزعة الشكلية التي كانت سائدة وفي تحبيذه للنزعة الواقعية ونسي أن الدراسات المدرسية القديمة وإن كانت غير مفيدة بالمعنى الوضعي ولا تلبي حاجات الوجود العادية، لها مع ذلك فائدة أسمى إذ يمكن أن تغدو إذا ملكتها يد صناع ماهرة خير أداة لتثقيف الفكر وتهذيبه.

٦- ويرى البعض أن **لوك** يزدريفي جزء من أفكاره بعض الفنون وينكر ما لها من أثر لطيف في نفس الأطفال، ثم يصر في مكان آخر على تعليم الرسم ويجعله في رتبة القراءة والكتابة.

٧- لو صحت آراء **لوك** حول رفض استظهار المعلومات لأصبحت التربية مستحيلة، لأن التربية تفترض وجود بذور طبيعية يخصبها التمرين وينميها **(**عبد الدائم، ١٩٨٩، ٣٧١**)**. ومع ذلك يرى الباحث أن **جون لوك** هو أول من خصص من فلاسفة التنوير عملاً خاصّاً بالتربية ركز فيه على كل جوانب تربية الطفل منذ الولادة، ومن خلال اطلاع الباحث على فكر روسو وعلى بعض الدراسات التي درست تأثير **لوك** بمن بعده من فلاسفة التربية وخاصة في القرن السابع عشر فقد وصل إلى نتيجة مفادها أن أفكار **لوك** التربوية كانت قاعدة انطلق منها فلاسفة التربية المعروفين فيما بعد نحو وضع نظريات جديدة وعصرية في التربية.

الفصل الخامس

نتائج الدراسة ومدى الاستفادة منها في الواقع التربوي

١- نتائج الدراسة

٢- إمكان الاستفادة من هذه الدراسة في التربية العربية

١-نتائج الدراسة :

بعد الاطّلاع على مضامين الفلسفة العامة **لجون لوك** وتحديد الملامح العامة لها ، ومن ثم استخلاص أهم الأبعاد التّربوية الواردة في هذه الفلسفة ومناقشتها من وجهة نظر غيره من الفلاسفة وبعض من تلاه من مفكرين وباحثين ونقاد توصل الباحث إلى مجموعة من النّتائج تم توزيعها في عدة محاور على الشّكل الآتي .

١-١ من الناحية الفلسفية : وهنا تكون الإجابة على سؤال البحث الأول :

ما أهم الأسس والمبادئ التي قامت عليها فلسفة جون لوك الواقعية؟

حاولت الباحث من خلال الإجابة عن سؤال البحث الأول تحديد الملامح العامة لفلسفة **جون لوك** في نزعته التجريبية وفلسفته في السياسة والدّين والأخلاق وتوصل إلى مجموعة من النتائج وكانت على الشكل التالي :

- **النزعة التّجريبية عند جون لوك :**

- يرفض **لوك** الأفكار الميتافيزيقية ويرى أن العالم الفيزيقي الّذي نعيش فيه يشتمل على جميع الحقائق ومصدرها وهو عالم مستقر وثابت ونستطيع عن طريق التحليل العلمي اكتشاف لحقائق الشاملة الموجودة فيه والمستقلة عن إدراكنا لها وهذه الحقائق هي القوانين الطبيعية التي تتحكم في سير الوجود الإنساني.
- أول ما يذهب إليه **لوك** في عرض مذهبه التجريبي هو تنحية المذهب الغريزي من طريقه لكي يعرض المذهب الحسي التجريبي، وبالتالي فإن الحواس هي الوسيلة الوحيدة للحصول على المعارف من العالم الّذي نعيش فيه.
- يرى **لوك** أن قيمة المعرفة تأتي من وجود مقابل لها في الوجود ومعيار الحقيقة هو مطابقة الفكر للوجود، أي وجود أشياء مادية تقابل أفكارنا وتدرك بالحواس والمعاني المقصودة هنا هي المعاني البسيطة أما المعاني المركبة في عبارة عن نماذج يصنعها الفكر ويتأملها.

- النفس عند **لوك** مجموع معان بسيطة مدركة بالتفكير، والأنا هو هذا الشيء المفكر المدرك لأفعاله، ووجوده موضوع حدس باطن لا يتطرق إليه شك ولا يحتاج إلى دليل، وجهلنا بجوهر النفس لا يخولنا الحق بإدراك وجودها.
- يؤكد **لوك** أن الله موجود لكن ماهيته مجهولة لا يستطيع عقلنا أن يعيها. ولسنا نؤمن بوجود الله على معنى غريزي بل بناء على برهان. فالمعنى الغريزي معدوم بالمرة عند الملحدين والمتوحشين وعند العامة هو مشبع بالتشبيه ولا يطابق حقيقة الله ولو كان في النفس معنى غريزي عن الله لآمن بالله جميع الناس وتعقلوه كما هو.
- وكذلك يرى **لوك** أن الأجسام موجودة وعلمنا بوجودها محقق علمياً وإن لم يكن في مثل يقين علمنا بذاتنا وبالله. ويدل على وجودها أولاً أن الذهن لا يستطيع إحداث صورها من تلقاء نفسه، وكل فاقد حاسة فهو عاطل عن المعاني المتعلقة بتلك الحاسة. ونحن نميز المعنى الآتي من الحس والمعنى الآتي من الذاكرة فالأول مفروض علينا والثاني تابع للإرادة تذكره أو لا تذكره.
- الحواس يؤيد بعضها بعضاً بالنسبة **لجون لوك**، فالذي يرى النار يستطيع أن يلمسها ويشعر بالألم ومعانينا ليست صور الأشياء وإنما هي علامات دالة عليها.
- يؤكد **لوك** أن معرفتنا مقصورة على التجربة الظاهرة والباطنة فيتعين على الفلسفة أن تقنع بما يدرك بالملاحظة والاستقراء فحسب وأن تعدل عن المسائل الميتافيزيقية وعن المناهج العقلية.

- **فلسفة لوك السياسية :**

- هاجم **لوك** نظرية لحق الإلهي المقدس التي استغلها الملوك في حكم شعوبهم حكماً استبدادياً مطلقاً مدعين أنهم مفوضون من الله في هذا الحكم فلهم الحق في وضع القوانين التي يرون أنها مناسبة للشعب، وعلى

الأفراد أن يمتنعوا عن معارضة هذه القوانين إذ أنها مستمدة من السلطة الإلهية.

- فيما يخص الحرية يذهب **لوك** إلى أن للإنسان حقوقاً مطلقة لا يخلقها المجتمع والعلاقة بين الناس هي علاقة كائن حر بكائن حر تؤدي إلى المساواة .
- حق الملكية كما يرى **لوك** هو حق طبيعي يقوم على العمل لا على الحيازة والقانون الوضعي وليس لأحد حق فيما يكسبه المرء بتعبه ومهارته ولا تصير الحيازة حقاً إلا إذا استلزمت العمل.
- رفض **لوك** السلطة الأبوية وإقامة الحرية الشخصية فلا سيادة طبيعية لأحد على آخر فسلطة الأب أعطيت له لكي يربي الابن ويجعل منه إنساناً أي كائناً حراً فهي واجب طبيعي أكثر منها سلطة وهي مؤقتة ول تشبه سلطة السيد على العبد وتفقد بسوء الاستعمال والتقصير.
- السلطة السياسية في فلسفة **لوك** تراض مشترك وعقد إرادي وذلك لأن أعضاء المجتمع متساوون عقلاً وحرية بخلاف الحال في علاقة الآباء والأبناء. فأساس الاجتماع الحرية.
- يرى **لوك** أن الغرض من العقد الاجتماعي صيانة الحقوق الطبيعية لا محوها لمصلحة الحاكم كما رأى هوبز فلا يستطيع الأعضاء أن ينزلوا إلا عما يتنافر من حقوقهم مع حال الاجتماع وذلك هو حق الاقتصاص. فالسلطة المدنية قضائية في جوهرها.
- يؤكد **لوك** على ضرورة الفصل بين الدولة والكنيسة. فهدف الدولة الحياة الأرضية، وهدف الكنيسة الحياة السماوية. نحن نولد ونكون ملكاً للوطن وليس ملكاً للكنيسة ولا ندخل فيها إلا طوعاً.
- يرى **لوك** أن المجتمع المدني غير قائم على مصالح الكنيسة فليس للدولة أن تراعي العقيدة الدينية في التشريع، ولا محل للقول بدولة مسيحية.
- يرى **لوك** أن مبدأ الدولة أن لكل أن يستمتع بجميع ما يعترف به للغير من حقوق، فيجب على الدولة أن تجيز جميع أنواع العبادة الخارجية، وتدع

الكنيسة تحكم نفسها بنفسها فيما يتعلق بالعقيدة والعبادة فتسود الحرية جميع نواحي المجتمع المدني.

- يجب على الحكومة المدنية في رأي **لوك** أن تمثل الإرادة الشعبية و يتعين عليها أن تعمل على حماية الحقوق الطبيعية للأفراد، فإذا ما عطلت الحكومة هذه الحقوق أو اعتدت عليها وجب إعلان الاحتجاج من جانب الشعب بالطرق السلمية لتغيير الحكومة المدنية.

- **فلسفة لوك الدينية:**

- أكد **لوك** على مبدأ التسامح الديني بين الملل والطوائف المسيحية ورفض أي شكل من أشكال التعصب ورفض الآخر المخالف.
- أكد **لوك** على فصل الدين عن الدولة وإقامة الحكومة المدنية ورفض التشريع القانوني المرتبط بأي اعتبارات دينية .
- رفض **لوك** المعرفة الدينية الفطرية وأكد على أن الإيمان يجب أن يبنى على الاقتناع الداخلي عند الفرد .
- إن الله تعالى بحسب **لوك** إله لا متناهٍ خالد يكمن فيه الخير الكلي والقدرة الكلية، حكيم حكمة ليست كحكمتنا، ولا يمكن تصوره تصوراً عقلياً، لا نعرف عنه سوى قوة الحضور في حياتنا ذلك الحضور الّذي نستمد منه القوة والأمان.
- يرى **لوك** أن خلاص النفوس من شأن الله وحده، ثم إن الله لم يفوض أحداً في أن يفرض على أي إنسان ديناً معيناً، وأن قوة الدين الحق كامنة في اقتناع العقل.

- **فلسفة لوك الأخلاقية:**

- ينكر **لوك** وجود أخلاق فطرية عند الإنسان، ولكن يؤكد أن لديه قدرات وملكات خاصة تجعله قادراً على اكتساب المعرفة الخلقية التي تمكنه من تحقيقي حياة أخلاقية خيرة ينعم فيها بالسعادة .

- حاول **لوك** إقامة علم نظري للأخلاق يتطابق مع الرياضيات مثله في ذلك مثل العلوم الدقيقة وبهذا انتقل من منطق الواقع إلى منطق الرياضيات النظري في مجال الدراسات الأخلاقية.
- أسباب السعادة الإنسانية عند **لوك** هي الصحة والسمعة الطيبة والمعرفة وفعل الخيرات.
- أما السعادة الروحية فهي تكمن في طاعة القانون الإلهي الّذي وضعه الله. وإرادة الله تعالى هي الأساس الراسخ للأخلاق.

١-٢ من الناحية التربوية : وهنا تكمن الإجابة على سؤال البحث الثاني وهو: كيف ارتبطت فلسفة جون بالفكر التربوية وتطبيقاته المختلفة ؟

- في التّربية الفكرية:

- يرفض **لوك** رفضاً قاطعاً نظرية الأفكار الفطرية ويعتبر أن عقل الطّفل يولد وهو صفحة بيضاء تخط عليها الطبيعة ما تشاء.
- يؤكد **لوك** أن المعرفة مكتسبة واكتسابنا لها يأتي عن طريق الخبرة الحسية ولا يوجد مصدر آخر. وبالتالي فإن التجربة هي مصدرة المعرفة وهي الأساس الّذي يجب أن تستند إليه العملية التعليمية في المناهج العلمية.
- الخبرة الحسية عند **لوك** ترجع إلى مصدرين أساسيين هما الإحساسات وأفكار الاستبطان.
- تصنف الأفكار عند **لوك** إلى بسيطة ومركبة والعقل لا يستطيع ابتكار الأفكار البسيطة لكنه يستطيع ابتكار أفكار مركبة. والأفكار المركبة نتيجة قيام العقل بعملياته الفكرية المختلفة من تذكر وتصور ومقارنة وإدراك وغيرها. وهنا يتوجب أن تتدرج العملية التعليمية من البسيط إلى المعقد وهذا من أهم مبادئ تعلم الأفكار والمفاهيم.
- يرى **لوك** أن العقل يكون سلبياً في مواجهة الأفكار البسيطة التي يستقبلها وتخطها التجربة على صفحته أما في الأفكار المركبة فدوره إيجابي لأنه لا توجد قوة تستطيع تركيب الأفكار البسيطة غير قوة العقل.

- المعرفة عند **لوك** معرفة غير مباشرة تستلزم إلى جانب عنصري العقل والموضوع عنصراً ثالثاً هو فكرتنا عن الشيء الّذي أمامنا فالأفكار هي التي تثبت في عقولنا المعرفة .
- يرى **لوك** أن أهم قدرتين عقليتين عند الإنسان هما الإدراك والإرادة ويمثل الإدراك الحسي الوجه السلبي للعقل بينما تمثل الإرادة الجانب الإيجابي له لأنها تتبع رغبة العقل في تكوين الأفكار وإصدار الأحكام.
- يقسم **لوك** المعرفة إلى أنواع: **حدسية** لا يتطرق إليها الشك ولا تحتاج لمجهود من العقل ليصل إليها، و**برهانية** يحصل عليها العقل حين يدرك ما بين فكرتين من توافق أو عدم توافق ولا يأتي الحكم على قضية هنا إلا بعد البرهان عليها. وحسية تعرفنا بوجود العالم الخارجي وهي تقل قيمة عن درجة البداهة واليقين والمعرفة الاعتقادية الّتي تأتي عن طريق الإيمان بالمعتقدات الدينية. كما يرى أن للمعرفة حدود معينة فهي لا تمتد أبعد من أفكارنا ولا تتجاوز ما نستطيع إدراكه من توافق أو عدم توافق بين الأفكار ولا نستطيع أن نحصل على معرفة حدسية تشمل كل أفكارنا.

- **في التّربية الأخلاقية:**

توصل الباحث إلى مجموعة من المبادئ التي يؤكّد عليها لوك فيما يخص التربية الخلقية إذ يؤكد لوك على أن:

- التربية الخلقية تأتي في المرتبة الأولى قبل التربية العقلية والفكرية، لذا على التربية أن تتوجه إلى تربية القيم قبل أي شيء آخر.
- التربية الخلقية تقوم على أسس الفضيلة والأناة والطباع المهذبة لتأتي الثقافة كعامل مكمّل لهذه جميعها.
- أساس التربية الخلقية يقوم على تربية الانفعالات النبيلة وهي الشرف والخوف والحياء وهذه تأتي قبل أي شيء آخر .
- العقوبة الجسدية أمر ذو نتائج خطيرة في التربية عامة وفي التربية الخلقية بشكل خاص ويؤدّي إلى نتائج مدمّرة على نفس الطفل.

- **في التربية البدنية:**

كذلك يؤكد لوك في التربية البدنية على أن:

- العقل السليم في الجسم السليم هو المبدأ الّذي تقوم عليه التربية البدنية منذ الطفولة.
- لا بد من تخفيف اللباس في الطفولة وتعويد الطفل على التقشف مع وجود نظام غذائي صحي يحدد منذ سن مبكرة للطفل .

- **في منهج الدراسات:**

بعد اطلاع الباحث على الفكر التربوي للفلسفة الواقعية والجوانب التربوية في فلسفة جون لوك توصل إلى مجموعة من المبادئ التي تلتزم بها المناهج الدراسية في التربية الواقعية وهي:

- دعم الدراسات المتعلقة بالحياة مثل: الجغرافيا والفلك والتاريخ أكثر من التركيز على الأدبيات.
- تزويد المتعلمين بنتائج العلوم الطبيعية التي تشير إلى التقدم الملحوظ في عصرهم.
- العناية بالتربية الرياضية لأنها تساعد الفرد على تحمل الصعاب والمثابرة على العمل.
- غرس الفضائل الاجتماعية في النّفوس بجانب العلوم .
- التركيز على ضرب الأمثلة أكثر من ذكر القواعد والأحكام لأنها طريق التربية الصحيحة، وأن تلائم طرق التدريس طبيعة المتعلم فتكون مرنة مناسبة لنموه.
- إعداد الطفل لمواجهة الحياة من خلل الإعداد الشامل لشخصيته والابتعاد عن الحشو الميكانيكي بالحقائق الجافة .
- التركيز على الجوانب التطبيقية في عملية التعلم لذلك لا جدوى من دراسة اللغات.

كما توصل الباحث لمجموعة من الصفات التي يؤكد لوك على وجودها في مناهج الدراسات وهي:

- يجب أن تتصف الدراسات الثقافية بالتشويق في وسائلها كما يجب أن تبتعد عن القسوة والفظاظة في طرق التعليم .
- يجب أن تبنى التربية على أساس المعرفة الحاذقة بحاجات الطفل.
- لا ضرورة من استظهار المعلومات ومن الأفضل إثراء الجانب التطبيقي للمعرفة المعطاة .
- تعلم المهن ضروري في مناهج التعليم.
- تأمين العمل والدراسة لأبناء الأسر الفقيرة في سن التعليم الابتدائي .

- **في علاقة السياسة بالتربية:**

توصل الباحث إلى مجموعة من النتائج فيما يخص علاقة التربية بالسياسة عند جون لوك وهي:

- يرفض **لوك** العبودية ويؤكد على الحرية المقيدة بالقانون.
- يرى **لوك** أن التربية على الحرية تبدأ من الطفولة المبكرة من خلال تخفيف لباس الطفل وتعويده على التقشف ودفعه نحو التعرف على المحيط والمحسوسات والتجربة.
- يؤكد **لوك** أن حرية الإنسان في المجتمع تعني أنه ليس مسخراً لسلطة تشريعية سوى التي نصبت بالاتفاق في الدولة وأنه ليس خاضعاً لأي إرادة أو قانون سوى ما تسنه تلك السلطة التشريعية.
- تتمثل الحرية عند **لوك** في قدرة الأفراد على الاختيار الفعال في كافة جوانب الحياة .

- **في التربية الدينية:**

من خلال اطلاع الباحث على المبادئ الفلسفية ذات العلاقة بالدين عند جون لوك توصل إلى إبراز مجموعة من المبادئ ذات العلاقة بالتربية وهي:

- يرى **لوك** أنه لا توجد أفكار فطرية دينية في المعتقدات وحول وجود الله تعالى .

- المعرفة بوجود الله عند **لوك** معرفة برهانية تقوم على قدرة العقل على إدراك مبدأ العلية .
- يرى **لوك** أن للفرد الحرية في اختيار الكنيسة التي يقتنع بأفكارها وصحة مبادئها ولذلك لا بد من تجنب التأمل النظري في الدين لأنه يؤدي إلى غموض المعرفة الروحية.
- يؤكد **لوك** أنه لا يجب أن تضطهد الكنيسة أي إنسان بسبب عقيدته لأن الحرية مكفولة للجميع ولا يجب التحيز لجماعة دينية دون أخرى .

٢- إمكان الاستفادة من فلسفة جون لوك في التربية العربية:

وهنا تكون الإجابة على سؤال البحث الثالث:

كيف يمكن أن تستفيد التربية العربية من فلسفة جون لوك التربوية:

من الواضح أن الوضع الحالي للمجتمعات العربية بعيد كل البعد عن الحالة الصحية السليمة، ويقف على مفترق طرق خطر قد يودي بأبنائه إلى ما لا تحمد عقباه، لذا فإنه من الواضح الجلي أن الهدف الّذي يجب أن يسعى إليه أي نظام تربوي في بلداننا هو إعادة بناء الإنسان وتكوين الفرد القادر على العيش في وطنه ومع أبناء بلده والقادر على خدمته والسير به نحو التقدم والتطور والمدرك لمعاني المواطنة الحقيقية والمستطيع ممارستها بالشكل الفعال.

كل هذا يقتضي إعادة النظر في التربية بدءاً من فلسفتها وانتهاءً بصياغة وبناء الموقف التعليمي وفق معايير جديدة للحكم على النتاج التربوي في الواقع الحياتي.

والفلسفة التربوية لا تنشأ في فراغ بل لا بد أن تنبثق من فلسفة اجتماعية واضحة المعالم كما يفترض بهذه الفلسفة ألّا تكون ثابتة ونهائية، حيث يجب أن تتسم بالمرونة والقابلية للتجديد ولا سيما في هذا العصر الذي يشهد تغيرات متلاحقة وتدفقات معرفية على كافة الأصعدة (الخميسي ، ٢٠١١ ، ٣). وبما أن الفلسفة التربوية قابلة للتجديد والتطور، لا بدّ من إعادة النظر في بعض مبادئها وأفكارها على فترات متلاحقة من الزمن . من هنا تأتي أهمية الأبحاث الفلسفية في التربية لتعيد النظر وتلفت الانتباه إلى بعض المبادئ التربوية التي باتت مخالفة لمقتضيات العصر ومتناقضة مع الواقع أو بعيدة كل البعد عنه لتقوم بعد

ذلك بتحديد سبل تعديلها أو إغنائها بالشكل الّذي يساعد على تجاوز المشكلات التربوية الرّاهنة. ومن هذا المنطلق فقد حدّد الباحث مجموعة من الأفكار المستخلصة من البحث والتي قد تحمل الفائدة في مجال إثراء الفلسفة التربوية وتعزيز تطبيقاتها في الواقع التربوي. وقد ارتأى الباحث أن التربية العربية يمكن أن تستفيد من فلسفة **جون لوك** في عدة مجالات وقام بتصنيفها وفق الآتي:

أولاً : في مجال التربية الخلقية:

يمكن الاستفادة من فلسفة جون لوك في مجال التربية الخلقية وذلك من خلال:

من خلال الاطلاع على فلسفة **لوك** التربوية يمكن الوصول إلى مجموعة من المبادئ التي يمكن الالتزام بها وهي:

- تعويد الطفل على تحمل المسؤولية ومنحه هامش من الحرية يستطيع من خلاله أن يفكر ويبحث ويستعرض ما لديه من مواهب وملكات معرفية ومهارية.
- تعليم القيم الأخلاقية من خلال المواقف الحية التي يعاينها الفرد في حياته اليومية لا من خلال الوعظ والتلقين، وبناء هذه القيم على أسس منطقية تنطلق من العقل دون أن تفرض بشكل قسري على وجدان الطفل.
- تجنب العقاب الجسدي للطفل لأن له آثاراً خطيرة على نفس الطفل قد تتطور هذه الآثار الخطيرة لحالات نفسية مرضية كالانطواء والانعزالية وفقدان الثقة بالنفس.
- تجنب الأسلوب القمعي في التّربية وتحويل السلطة الأبوية إلى سلطة ديكتاتورية تفرض الأوامر وتقرر عن الأطفال دون نقاش.

ثانياً : في مجال مناهج الدراسات:

يمكن للمناهج التربوية أن تستفيد من فلسفة لوك التربوية من خلال التركيز على مجموعة من الأمور التي تفيد في تطوير هذه المناهج:

- الاهتمام بالجانب العملي التطبيقي في المناهج التعليمية في التربية العربية، فالتجربة أساس راسخ للعلم الصحيح وضرورة ملحة للتطور العلمي والتكنولوجي، كما أن المعرفة القائمة على التجربة أكثر ثباتاً من المعرفة النظرية فضلاً عن كون نتائجها أكثر فعالية في ميادين العمل في مراحل ما بعد التعليم.

- زيادة الاهتمام بالعلوم التطبيقية كالفيزياء والكيمياء والعلوم الطبيعية وتعزيز مناهجها في المراحل الدراسية كافّة.
- ربط المناهج الدراسية بخبرات التّلاميذ واحتياجاتهم وميولهم وهذا المبدأ من أهم مبادئ التربية التقدمية في العصر الحديث. فالتعليم القائم على الميول والحاجات يدفع المتعلم نحو الإبداع والابتكار وتقديم الأفضل.
- زيادة عنصر التشويق في المناهج الدراسية وتعزيز المواد التي تحتاج للأنشطة الفنية.
- زيادة الاهتمام بالتربية الرياضية وضرورة الاهتمام ببناء الجسم السليم إلى جانب العقل السليم.

ثالثاً : في مجال التربية على المواطنة:

في ظل الظروف الحرجة التي تمر بها الأمة العربية نجد من الأهمية بمكان عرض أفكار جون لوك في السياسة والمواطنة حيث يمكن الاستفادة منها

- من الضروري تعزيز مبادئ وقيم احترام القانون وفهم طبيعة العلاقة بين الحق والواجب ونشر ثقافة احترام الرأي الآخر بما يضمن حالة اجتماعية تحترم الحرية ضمن إطار القانون وتقدر مبادئ العدالة والمساواة بين أبناء الوطن الواحد .

رابعاً : في مجال التربية الدينية:

تأخذ أفكار لوك الدينية أهمية كبرى في المرحلة الحرجة التي تعيشها أمتنا العربية في أيامنا هذه، حيث انتشر التعصب الديني ووصل الاقتتال الطائفي حداً يهدد فيه وجود هذه الأمة .. من هنا يمكن الاستفادة من أفكار لوك وذلك من خلال :

- نشر قيم التسامح وتقبل الآخر المخالف مهما كانت معتقداته وأفكاره والإيمان باحترام حقوقه كاملة ضمن المجتمع.
- تدعيم مبدأ الفضيلة وتربية الضمير كأهداف أساسية لكل الأديان قبل ممارسة الطقوس والتقاليد والتحكم بالعقول والتسلط على الآخرين.

- توطيد العلاقة بين قيم التربية الدينية والأخلاق في مناهج التّعليم وزيادة التّركيز على القيمة المفيدة في المجتمع ، إضافة لضرورة التركيز على نبذ التعصب والتفرقة على أساس الدين أو العرق أو الطائفة واحترام شخص الإنسان بناء على أفعاله والخير الّذي يقدمه للآخرين وللمجتمع.
- مساعدة الفرد على بناء قناعاته الدينية على أساس الاقتناع الداخلي التام وليس من خلال الفرض والتخويف أو من خلال الأفكار المسبقة وبما يضمن احترام قناعات الآخرين مهما كانت طبيعتها.
- تعزيز مبادئ وقيم التسامح في مناهج التّعليم ونشر ثقافة التسامح عبر كل المؤسسات ذات الصلة بالعملية التربوية.

المصادر والمراجع

المصادر باللغة العربية :

- صليبا ، جميل (١٩٨٢):المعجم الفلسفي الجزء الأول ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني .
- صليبا ، جميل (١٩٨٢):المعجم الفلسفي الجزء الثاني ، بيروت ، دار الكتاب اللبناني.
- سعيد ، جلال الدين (٢٠٠٤):معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية ، تونس ، دار الجنوب للنشر .
- لالاند ، أندريه (٢٠٠١): موسوعة لالاند الفلسفية ترجمة خليل أحمد خليل ، بيروت ، منشورات عويدات .
- لوك ، جون (١٩٥٩): في الحكم المدني ترجمة ماجد فخري ، بيروت ، اللجنة الدولية لترجمة الروائع .
- لوك ، جون (١٩٩٧): رسالة في التسامح ، ترجمة منى أبو سنة ، مصر، المجلس الأعلى للثقافة.

المصادر باللغة الانكليزية :

- Locke, John (1993) : Some Thoughts Concerning Education , London.
- Locke, John (1993) : AN ESSAY CONCERNING HUMAN UNDERSTANDING , Pennsylvania, Pennsylvania University .

المراجع العربية :

- أبو ريان ، محمد علي (١٩٩٦): تاريخ الفكر الفلسفي ،الفلسفة الحديثة ، القاهرة ، دار المعرفة الجامعية .
- إبراهيم ، إبراهيم (٢٠٠٠): الفلسفة الحديثة من ديكارت إلى هيوم ، الاسكندرية ، دار الوفاء للنشر .
- الأحمد ، عدنان والسناد، جلال (٢٠١١): علم الاجتماع التربوي ، دمشق ، منشورات جامعة دمشق .
- إسلام، عزمي (١٩٦٢): نظرية المعرفة عند جون لوك ، القاهرة.
- باية ، ألبير (١٩٩٥): أخلاق الإنجيل ترجمة عادل العوا ، دمشق ، دار الحصاد.
- برهييه ، إميل (١٩٩٣): تاريخ الفلسفة ، القرن السابع عشر ترجمة جورج طرابيشي، بيروت ، دار الطليعة للطباعة والنشر.
- توفيق ، محمد (٢٠٠٩): الفلسفة التجريبية ، المعرفة هل هي فطرية أم مكتسبة؟ مقال في مجلة العرب الأسبوعي .
- الجرجاوي ، زياد علي (٢٠١٣): التفكير الإنساني وقضاياه التربوية ، الجزائر .
- الجيوشي ، فاطمة – الشماس ، عيسى التربية العامة ١ ، دمشق ، منشورات جامعة دمشق .
- جيدوري ، صابر (٢٠١١): المثالية الكانتية وأبعادها التربوية ، بحث منشور في مجلة جامعة دمشق للعلوم التربوية ، دمشق .
- حلاق ، محمد – الجندي ، نزيه (٢٠٠٧): تاريخ التربية ، دمشق ، منشورات جامعة دمشق.
- الخميسي ، السيد (٢٠١١): التجديد في فلسفة التربية العربية لمواجهة تحديات العولمة، الكويت ، مكتبة الخليج لذوي الاحتياجات الخاصة.
- خيون ، يعرب (٢٠٠٦): نقل أثر التعلم ، العراق ، الأكاديمية الرياضية العراقية.

- داود، أحمد (٢٠١٠) نظرية المعرفة عند جون لوك بحث منشور في مجلة آداب الفراهيدي، العراق.
- ديوي ، جون (١٩٦٣): الطبيعة البشرية والسلوك الإنساني ترجمة محمد لبيب النجيحي، القاهرة ، منشورات مؤسسة فرانكلن .
- ديوي ، جون (١٩٨٥): المدرسة والمجتمع ترجمة أحمد حسن الرحيم ، بيروت ، منشورات مكتبة الحياة .
- ذهبية ، قوري (٢٠١٠): العقاب الجسدي والمعنوي وتأثيرهما على ظهور السلوك العدواني لدى التلاميذ ، وهران ، الجزائر .
- رحمة ، أنطون (١٩٩٨): التربية العامة ٢ دمشق ، منشورات جامعة دمشق .
- رحمة ، أنطون – الشماس ، عيسى (٢٠٠٧) التربية العامة وفلسفة التربية ، دمشق، منشورات جامعة دمشق .
- رسل ، برتراند (١٩٧٩): تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، المكتبة المصرية .
- رسل ، برتراند (١٩٨٥): في التربية ترجمة سمير عبده ، بيروت ، منشورات دار مكتبة الحياة .
- رسل ، برتراند (١٩٨٥): التربية والنظام الاجتماعي ترجمة سمير عبده ، بيروت، منشورت دار مكتبة الحياة .
- زقزوق ، محمود (١٩٩٦): الدين والفلسفة والتنوير ، مصر ، دار المعارف .
- زكريا ، فؤاد (١٩٩١): نظرية المعرفة ، مصر ، مكتبة مصر .
- شاخت ، ريتشارد (١٩٩٧): رواد الفلسفة الحديثة ترجمة أحمد محمود ، مصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- شعبان ، عبد الحسين (٢٠١٣): في مفهوم التسامح وإشكالاته ، بيروت ، دار النهار.
- الصعدي، أحمد (٢٠١١): ضرورة وحدود التسامح في –محاولة في التسامح الديني– عند جون لوك، بحث منشور في مجلة واسط للعلوم الإنسانية، صنعاء.
- ضاهر ، عادل (١٩٩٩): نقد الفلسفة الغربية ، الأخلاق والعقل ، عمّان ، دار النشر للشروق والتوزيع .

- الطنطاوي ، بيان (٢٠١١): نظرية اكتساب اللغة بين ابن خلدون وتشومسكي وبياجيه، جامعة كيبنغسان ، ماليزيا.
- عاقل ، فاخر (١٩٨٩): التربية قديمها وحديثها، دمشق ، منشورات جامعة دمشق .
- عباس ، رواية (٢٠٠٣) :الفلسفة الحديثة والنصوص، الاسكندرية ، كلية الآداب في جامعة الاسكندرية .
- عبد الحفيظ، البار (٢٠١٠) فلسفة التربية عند جون ديوي– رسالة ماجستير، الجزائر، جامعة قسنطينة.
- عبد الدائم ، عبد الله (١٩٧٣) :التربية عبر التاريخ من العصور القديمة حتى أوائل القرن العشرين، بيروت ، دار العلم للملايين.
- عبد الرحمن، محمد (١٩٨٤) نظرية الأفكار الفطرية في المذهب العقلي والنقد التجريبي لها عند جون لوك –رسالة ماجستير ، دمشق، كلية الآداب.
- عبده، مصطفى (1999) :فلسفة الأخلاق، مكتبة مدبولي،القاهرة .
- قربان ، ملحم (١٩٨١) : الواقعية السياسية ، بيروت ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع .
- كرم ، يوسف (١٩٨٦) : تاريخ الفلسفة الحديثة ، مصر ، دار المعارف .
- كونزمان وآخرون (١٩٨١) : أطلس الفلسفة ، بيروت ، المكتبة الشرقية .
- المجيدل ، عبدالله وآخرون (٢٠٠٨): فلسفة التربية ، دمشق ، منشورات جامعة دمشق.
- محمود، زكي : (1936) قصة الفلسفة الحديثة، لجنة التّأليف والترجمة والنشر،القاهرة .
- مخلوف ، (٢٠١٠) : الصور الذهنية ، دراسة في تصور المعنى بحث منشور في مجلة جامعة دمشق ، دمشق .
- منصور ، علي (١٩٩٣) :علم النفس التربوي ، دمشق ، منشورات جامعة دمشق.

- وطفة ، علي (٢٠١١) : الثورة في فلسفة جان جاك روسو الطبيعية ، الكويت، جامعة الكويت.

المراجع الأجنبية :

- Aldrich, Richard (1999) : JOHN LOCKE , PAris , UNESCO.
- Bennett , Jonathan (1988) : Locke on People and Substances, Oxford, Oxford University.
- Gianoutsos, Jamie (2010) : LOCKE AND ROUSSEAU: EARLY CHILDHOOD EDUCATIONU , England.
- Goenaga, Leonard (2008) : Lockean Liberalism and the Declaration of Independence , England.
- AND STATE , Paris.
- Liederbach, Mark (2011) : LOCKEAN MORAL PHILOSOPHY , London.
- Locke, John (1993) : Some Thoughts Concerning Education , London.
- Locke, John (1993) : AN ESSAY CONCERNING HUMAN UNDERSTANDING , Pennsylvania, Pennsylvania University .
- Root, Douglas (2005) Locke's Educational Theories as Modified by Defoe, Johnson, and Rousseau- Master Thesis, USA, Florida University.
- Tuckness, Alex (2010) : Locke on education and the rights of parents , USA, Iowa State University.
- Ward , Lee (2010) : The Role of the Public in Locke's Educational Writings, University of Regina.